أروع
كتب
الجريمة

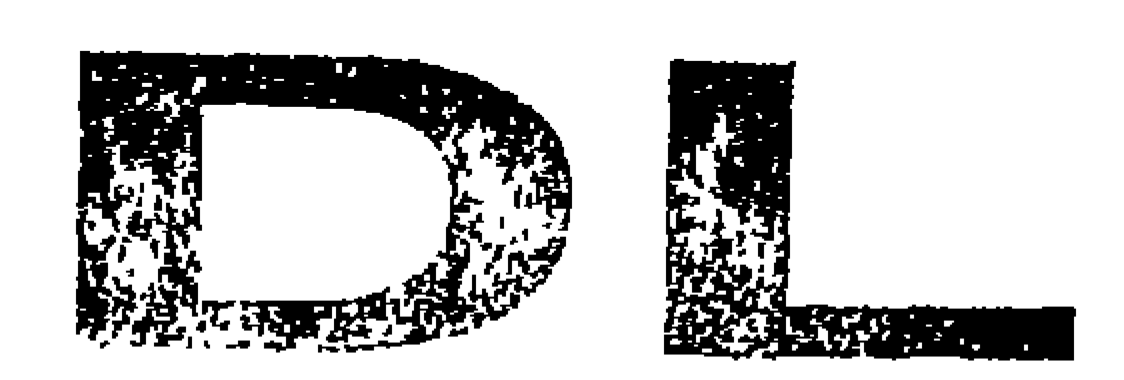
أجاثا
كريستى



جريمة فى قطار الشرق السريع

أروع كتب الجريمة

أجاثا كريستي



كتاب الملايين

في المغامرة . الجريمة . الاثارة . الجاسوسية .
الخيال العلمي

كتبها مؤلفون اذكياء لقراء أذكياء

أجاثا كريستي	جريمة قطار الشرق السريع
	الشر تحت الشمس
سيمنون	نهاية محتال
	الأميرة الروسية
هيتشكوك	الرجل الثالث
	الهارب
ستانلي جاردنر	بيري ميسون محامي الشيطان
	بيري ميسون ومخالب من حرير
ادجار ووﻻس	الدائرة الحمراء
كونان دويل	وادي الرعب

جريمة
فى قطار الشرق السريع

أجاثا كريستى

ترجمة محمد عبد المنعم جلال

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية
ومكتبة المعارف ببيروت

القسم الأول

الحقـائـق

الفصل الأول

وقف القطار المعروف باسم «طوروس الشرق» بمحطة حلب فى الساعة الخامسة صباحا ، وكان يتكون من عربة للطعام وأخرى للنوم وعربتين أخريين

وأمام سلم عربة النوم وقف ضابط فرنسى شاب يرتدى معطفا ثقيلاً يتحدث مع رجل قصير القامة يلتف فى ثياب سميكة من أعلا رأسه حتى اخمص قدميه لا يظهر منه غير طرف أنفه الأحمر وشاربيه الضخمين .

ومصاحبة رجل أجنبى ذى شأن كبير فى ذلك الجو القارس كان شيئا لا يحسد عليه ولكن الملازم دوبوسك قام بهذه المهمة الشاقة عن طيب خاطر وراح يتحدث مع المسافر أحسن حديث على الرغم من أنه لم يكن يعرف عنه شيئا محددا وان كانت الشائعات قد دارت فى الحامية ، فقد كان الجنرال ، رئيسه ، يعيش على أعصابه منذ وقت الى أن قدم ذلك البلجيكى القصير من انجلترا الى سوريا خاصة ، وبعد اسبوع انقضى فى جو

مشحون بالتوتر تدافعت الأحداث فاستقال أحد الضباط واستدعت حكومة احدى الدول موظفا كبيراً يشغل وظيفة مدنية ثم استراحت النفوس ولم تلبث بعض التدابير المشددة أن تراخت واستعاد الجنرال هدوءه وسكينته .

وكان دوبوسك قد سمع بعض عبارات من الحديث الذي جرى بين الجنرال وبين ذلك الأجنبي ، فقد قال الجنرال في انفعال :

- أنك جلوت لنا سراً من أشد الاسرار غموضا يا عزيزي وجنبتنا تعقيدات خطيرة ولا أرى كيف أشكرك .

ولكن الرجل القصير ، ولم يكن غير هركيول بوارو نفسه ابتسم وقال :

- لا استطيع أن أنس أيها الجنرال انك أنقذت حياتي ذات يوم .

غير أن الجنرال ، مجاملة منه لبوارو ، قال انه لم يفعل الا ما كان يمليه عليه واجبه ، وبعد بضع عبارات جاء فيها ذكر فرنسا وبلجيكا والمجر والشرق افترق الرجلان بعد أن ودع كل منهما صاحبه .

ولم يعرف الملازم دوبوسك شيئاً عن تلك المهمة التي أنجزها

بوارو ، وأنما قيل له أن يرافقه الى المحطة ، وقام الملازم الشاب بهذه المهمة على أكمل وجه وقال للمرة الثالثة تقريبا :

- اليوم الأحد ، وغداً مساء الاثنين ستصل الى اسطمبول ، فهل تنوى البقاء فيها بضعة أيام ؟ .

وأجابه بوارو :

- نعم ، فاننى لا أعرفها ولا أريد أن أمر بها من غير أن أتوقف . ليس هناك ما يدعونى الى الاسراع وسأزور المدينة كما لو كنت سائحا .

قال الضابط :

- أن كنيسة القديسة صوفيا تعتبر تحفة .

قال ذلك على الرغم من أنه لم يسبق أن رآها .

وهبت ريح عاصفة كسحت الرصيف ، وسرت الرعشة فى بدنى الرجلين ، والقى الملازم نظرة الى ساعته خلسة ... الخامسة الا خمس دقائق ... خمس دقائق أخرى ! ... وقال وهو يرفع عينيه الى نوافذ عربة النوم ؟

- مسافرون قلائل يسافرون فى مثل هذا الوقت من السنة .

- هذا صحيح .

- أرجو أن لا تحاصر الثلوج القطار .

- هل يحدث هذا عادة ؟

- نعم . ولكن لم يحدث هذه السنة بعد .

قال بوارو :

لنحتفظ بالأمل اذن وأن كانت النشرات الجوية التى تأتى من أوروبا لا تبشر بالخير .

- انهم يتوقعون سقوط الثلوج بكثرة فى البلقان .

- وهل يتوقعون سقوطه فى المانيا كذلك ؟

واذ رأى الملازم دوبوسك أن الحديث بينهما ينذر بالتوقف أسرع يقول :

- ستصل الى القسطنطينية فى الساعة السابعة والدقيقة الأربعين من مساء الغد .

- نعم .

وأردف بوارو يقول : يقال أن كنيسة القديسة صوفيا جميلة جداً .

- يبدو أنها تحفة من التحف .

وانفتحت أحدى نوافذ عربة النوم فوقهما وأطل منها وجه

فتاة .

لم تكن مارى دبنهام قد نامت الا غرارا منذ أن رحلت عن بغداد يوم الخميس السابق ، ولم تنعم بالنوم لا فى قطار كركوك ولا فى فندق الموصل ولا فى قطار طوروس الشرق طوال الليلة الماضية ، ولهذا سئمت البقاء جامدة مفتوحة العينين فى جو مقصورتها الخانق فنهضت وأطلت من النافذة .

حلب ! .. لاشئ مثير يمكن أن تراه .. رصيف طويل قليل الضوء تنطلق فيه من وقت لأخر بعض الكلمات باللغة العربية .

ورأت تحت نافذتها رجلين يتكلمان باللغة الفرنسية أحدهما ضابط فرنسى والأخر رجل قصير ضخم الشاربين . وابتسمت وهى ترى ذلك الأخير وقد تدثر فى ثيابه السميكة ، وأدركت أن الجو لا ريب قارس البرودة فى الخارج وأن القطار مفرط السخونة بالداخل فحاولت أن تخفض زجاج النافذة ولكنها أخفقت .

واقترب مراقب القطار من الرجلين وأخبرهما أن القطار سينطلق بعد لحظة . وشكره بوارو ورفع قبعته يحييه ، ولم يسع مارى دبنهام الا أن تبتسم على الرغم من مشاغلها وهى ترى صلعته وقالت تحدث نفسها كيف يمكن أن نأخذ ماخذ الجد رجلا

مضحكا كهذا ؟

وعاد المراقب يقول :

- مكانك يا سيدي .

وصعد بوارو . على مضض ، الى القطار والمراقب خلفه ، وهز يده يودع الملازم دوبرسك ثم تمتم يقول :

- أخيراً .

وأشار المراقب اشارة كبيرة مبديا لبوارو فخامة مقصورته وقال :

- انني وضعت حقيبة السيد فوق الرف .

وبسط المراقب يده بطريقة خفيفة لها معناها فدس بوارو فيها بقشيشا كبيراً وأسرع الرجل يقول :

- شكراً لك يا سيدي . معي تذاكر السيد ولكنني بحاجة الى جواز السفر . هل تتوقف في اسطمبول ؟

- نعم . أرى أنه ليس هناك كثير من المسافرين في عربة النوم ؟

- كلا يا سيدي . مسافران اثنان فقط ... انجليزيان ... كولونل عائد من الهند وامرأة شابة قادمة من بغداد . هل يريد

السيد شيئاً آخر ؟ .

والساعة الخامسة صباحا شتاء من أبغض الساعات حقا للصعود فى القطار لأن النهار لا يطلع الا بعد ذلك بساعتين . وبعد أن فرغ بوارو بنجاح من مهمة دقيقة وبعد نوم قصير كان التعب قد أخذ منه كل ما أخذ فتكوم فى ركنه ونام .

وبمجرد أن صحا فى الساعة التاسعة والنصف مضى الى عربة الطعام لكى يحتسى فنجانا من القهوة .

وفى ذلك الوقت لم يكن بعربة الطعام غير شخص واحد كانت كل الظواهر تدل على أنها السيدة الانجليزية التى تكلم عنها المراقب . كانت طويلة القامة ، هيفاء وسمراء تخطو نحو الثلاثين ، وكانت تتناول طعام الافطار فى هدوء . ودلت الطريقة التى طلبت بها من الساقى قدحا آخر من القهوة على أنها معتادة على حياة المجتمع وعلى السفر . كانت ترتدى ثوبا داكنا يناسبها كل المناسبة نظراً للجو الخانق الذى يخيم على العربة .

ولما لم يكن وراء هركيول بوارو ما يشغله فقد راح يتأمل الفتاة ويتفحصها دون ان يبدو عليه ذلك . كانت تنتمى الى ذلك النوع من النساء الذى يعرف كيف يدبر أمره فى جميع الظروف .

هل كانت جميلة ؟ .. راق له تناسق قسماتها الصارمة وشحوب بشرتها الرقيقة وشعرها الأسود الواضح التموجات وعيناها السمراوان الباردتان ... والحق انه وجدها من الرصانة والوقار بحيث لم يستطيع أن يصفها بالجمال .

ولم يلبث أن دخل رجل آخر بين الأربعين والخمسين من عمره طويل القامة ضامر الوجه ملوح البشرة وخط الشيب شعر فوديه .

وقال بوارو محدثاً نفسه :

- الكولونل العائد من الهند .

وحيا الوافد الجديد الفتاة قائلاً :

- صباح الخير يا آنسة دبنهام .

- صباح الخير يا كولونل ارتبنوت .

وبقى الضابط واقفا ويده على مسند المقعد المقابل للفتاة وقال :

- ألا ازعجك ؟

- أبداً . تفضل .

- ان المرء لا تروق له الثرثرة أثناء طعام العشاء .

- هذا صحيح . ولكن لك أن تطمئن فإنني لا أعض .

- جلس الكولونل وصاح فى لهجة مرة :

- جرسون !

وطلب بيضا وقهوة .

ووقعت عينا الكولونل لحظة على هركيول بوارو ثم تحول عنه فى غير اهتمام . وتبادل الانجليزيان بضع كلمات ثم نهضت الفتاة وعادت الى مقصورتها .

وفى الغداء جلس الاثنان على نفس المائدة وتجاهلا المسافر الثالث . وكان حديثهما هذه المرة منتعشا فتكلم الكولونل عن البنجاب والقى على الفتاة العديد من الأسئلة عن بغداد حيث كانت تعمل مربية للاطفال . وفى أثناء الحديث اكتشفا انهما يعرفان نفس المعارف والاصدقاء ، ولم تمض غير دقائق قلائل حتى زالت من بينهما الكلفة تماما . وسألها الكولونل أن كانت ذاهبة الى انجلترا رأسا أو اذا كانت تنوى التوقف فى القسطنطينية .

- كلا . أننى ذاهبة الى لندن رأسا .

- أن عدم زيارة أسطمبول لأمر مؤسف حقا .

- اننى قمت بهذه الرحلة منذ سنتين وقضيت ثلاثة أيام فى أسطمبول .

- يسرني أن لا تتوقفي في هذه المدينة إذن لانني سأمضي أنا الآخر الى لندن رأسا .

وأرتسمت على شفتيه ابتسامة واضطرم وجهه وقال بوارو يحدث نفسه :

- أن صاحبنا وقع في الغرام ... أن القطار خطر كالباخرة هو الآخر .

وأقرت مس دبنهام بلهجة هادئة بأن الرحلة ستكون أقل مللا حقا .

ولحظ هركيول بوارو أن الكولونل رافق الفتاة حتى مقصورتها ، وفيما بعد مر القطار أمام سلسلة جبال طوروس ، وكان الضابط الانجليزي والآنسة دبنهام واقفين بالممر يتأملان المنظر الجميل الذي يمر أمامهما .

وكان بوارو واقفا على كثب منهما فسمع الفتاة تقول :

- أوه ... ما أجمل هذا ؟ ... وددت ... وددت ...

- ماذا ؟

- وددت لو أن أتامل هذا المنظر الجميل أكثر من هذا .

لم ينطق أرتبنوت ومرت لحظة طويلة قبل أن يقول : تمنيت

لو أن أراك بعيداً عن كل هذا .

- صه ! ... اسكت .

- آه ... نعم . انك على حق .

وألقى نظرة الى بوارو ثم استطرد :

- لو تعرفين كم اتألم اذ أراك في وظيفة مربية أطفال تحت رحمة الأمهات المستبدات وأولادهن العفاريت .

ضحكت ضحكة قصيرة عصبية وقالت :

- أنك مخطئ . أن المربية المضطهدة أصبحت اسطورة .

- أؤكد لك أن الأهل هم الذين يحسبون لى الف حساب .

وساد صمت ، وبدأ كأن أرتبنوت قد تملكه الانفعال لتطفله .

وقال بوارو يحدث نفسه يبدو لى أن هذين الاثنين يتصنعان .

وفيما بعد ، عادت هذه الملاحظة الى ذهنه .

ودخل القطار محطة «قونية» فى نحو الساعة الحادية عشرة والنصف مساء ، وهبط الانجليزيان يتمشيان فوق الرصيف .

واكتفى بوارو فى البداية بالنظر من نافذته الى حركة المحطة ، وبعد نحو عشر دقائق خطر له أن يستنشق قليلا من الهواء النقى فقد يفيده فتدثر بمعطفه ولف حول عنقه كوفية ثم هبط

الى الرصيف وراح يتشمى حتى بلغ القاطرة .

وسمع صوتا أثار اهتمامه الى شخصين غير واضحى المعالم واقفين بجوار عربة بضاعة ، وسمع ارتبنوت يقول :

- مارى !

ولكن الفتاة قاطعته قائلة :

- ليس الآن ... ليس الآن .. عندما نفرغ من هذه المسألة ... بعد أن نفرغ من كل هذا ... عندئذ ...

وابتعد بوارو فى صمت وهو بادى الحيرة ، فقد تكلمت الفتاة بصوت متهدج يبعد عن الهدوء والوقار اللذين كانت تتحلى بهما قبل ذلك ، وتمتم يقول «هذا غريب» .

وعندما رآهما فى صباح اليوم التالى تسا ءل اذا كان قد دب بينهما شجار ما لأنهما لم يتبادلا الحديث الا لماما ، وكانت الفتاة شاحبة اللون تحيط بعينيها هالة وتبدو شديدة القلق .

وفى الساعة الثانية والنصف توقف القطار ، وأطلت رؤوس من الأبواب ، وكانت هناك جماعة من الرجال فى الخارج يشيرون الى لهب يتصاعد من تحت عربة الطعام .

وأنحنى بوارو من الباب وسأل المراقب الذى أتاه مسرعا .

وبعد أن أجابه الرجل رد رأسه الى الخلف ، وفيما هو يستدير اصطدم بماري دبنهام ، وكانت تقف خلفه وسألته :

– ما الخبر ... ؟ لماذا توقف القطار ؟

– ليس هناك شئ يا آنسة . شئ ما احترق تحت عربة الطعام . ليس هناك أى خطر .. أنهم اطفأوا الحريق ويقومون باصلاح التلف .

اتت الفتاة بإشارة بيدها كما لو تبعد شبح الخطر وقالت : – نعم . أنني أفهم .. ولكن الوقت ؟ ...

– الوقت ؟

– الن يتأخر القطار بسبب هذا الحادث ؟

– هذا جائز يا آنسة .

– ولكنني لا أستطيع احتمال أى تأخير . يجب أن يصل هذا القطار فى الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والخمسين ، ولابد لنا من عبور البوسفور لكي نلحق بقطار سمبلون الشرق على الشاطئ الآخر فى الساعة التاسعة . اذا تأخرنا كثيراً فلن نستطيع اللحاق بذلك القطار .

– وهل يهمك هذا يا آنسة ؟

- نعم يجب أن الحق بهذا القطار بكل وسيلة .

وتركت بوارو ومضت الى ارتبنوت ، وكان يقف فى الممر على بعد خطوات .

وكان قلقها لا مبرر له ، فقد واصل القطار سيره بعد نحو عشر دقائق . وعندما بلغ حيدر بازا لم يكن قد تأخر بأكثر من خمس دقائق .

وكان البوسفور مصطخبا ، ولم يطب عبوره لبوارو ، وافترق فوق الباخرة عن زميلى السفر .

وعندما بلغ جسر «غلطه» ركب سيارة مضت به الى فندق توكاتليان .

الفصل الثانى

فندق نوكاتليان

طلب بوارو غرفة بحمام ثم مضى الى مكتب الاستقبال وسأل أن كانت قد جاءته بعض الرسائل .

كانت هناك ثلاث رسائل وبرقية . ولم يكن يتوقع هذه الأخيرة ففحصها فى فضول وقرأ :

«قضية كاسنر تتقدم طبقاً لتوقعاتك . رجاء الحضور حالاً» .

وتمتم يقول وهو يلقى نظرة الى ساعة الحائط :- يالهذا الازعاج ! ... يجب أن أرحل هذا المساء ... متى ينطلق قطاع سمبلون الشرق ؟ .

- فى الساعة التاسعة يا سيدى .

- هل يمكن أن تحجز لى مكانا فى عربة النوم ؟

- طبعا يا سيدى . هذا أمر ميسور فى مثل هذا الوقت من السنة . فهناك أماكن كثيرة شاغرة ... الدرجة الأولى أو الثانية ؟ .

- الأولى .

- حسنا يا سيدى ... الى أى مكان ؟

- الى لندن .

- حسنا يا سيدى . سآخذ لك تذكرة الى لندن وأحجز لك مكانا فى عربة النوم فى قطار اسطمبول - كاليه .

نظر بوارو مرة أخرى الى ساعته وقال :

- الساعة الآن الثامنة الا عشر دقائق . هل هناك متسع من الوقت لكى اتناول طعام العشاء ؟

- بكل تأكيد يا سيدى .

واجتاز البلجيكى القصير الردهة لكى يذهب الى المطعم .

وبينما كان يطلب طعامه أحس بيد توضع فوق كتفه وسمع شخصا يقول خلفه :

- أه أيها العزيز ! ... ما هذه المفأجاة السعيدة !

والتفت بوارو فرأى رجلا قصيراً وبدينا يبتسم مسروراً فقال :

- آه .. أهذا أنت يا مسيو بوك ؟

ومسيو بوك هذا هو مدير شركة عربات النوم الدولية ، وهو بلجيكى الأصل هو الآخر ترجع صلته ببطل البوليس البلجيكى الى أعوام عديدة .

- ما الذى جاء بك الى هذا البلد البعيد يا صديقى العزيز؟ .

- قضية صغيرة فى سوريا .

- آه ! ومتى تعود ؟

- هذه الليلة بالذات .

- حسنا . أنا أيضاً راحل الليلة . سأذهب الى لوزان . أظنك ستسافر فى قطار سمبلون الشرق ؟ .

- نعم . وقد حجزت مكانا فى عربة النوم . كنت أنوى البقاء هنا بضعة أيام . ولكن جاءتنى الآن برقية تطلب منى أن أعود سريعاً .

تنهد مسيو بوك وقال :

- آه الأعمال ! ... الأعمال ! ... أنك بلغت الآن ذروة المجد يا صديقى .

قال بوارو وهو يحاول عبثا أن يبدو متواضعا : الحق اننى أحرزت بعض النجاح .

ابتسم بوك وقال :

- سوف نلتقى بعد قليل .

واهتم بوارو كل الأهتمام بالا يبتل شاربه وهو يتناول الحساء واذ أفلح فى ذلك راح يردد البصر حوله فى انتظار بقية الاصناف

. لم يكن هناك غير ستة أشخاص أثار اثنان منهم اهتمامه .

كان هذان الشخصان يجلسان الي مائدة تجاور مائدته . وكان أصغرهما شابا وسيما أمريكيا فى الثلاثين من عمره . ولم يكن هو الذي أثار اهتمام المخبر السرى القصير وإنما زميله .

كان هذا الأخير فى الستين أو الخامسة والستين من عمره ، يبدو من بعيد أنه من هؤلاء الرجال الذين يحبون عمل الخير . كان صلعه الخفيف وجبينه المرتفع وابتسامته التي تكشف عن طاقم اسنانه الصناعي ، وكان كل ما فيه يدل على أنه رجل طيب القلب الي حد بعيد ، ولم يكن يكذب هذه الحقيقة غير عينيه الماكرتين . وفوق ذلك عندما تكلم مع زميله الشاب القى نظرة حوله وتوقفت عيناه على بوارو لحظة وكانت ترتسم فيهما نظرة قاسية .

ونهض واقفا وقال في صوت أجش :

- أدفع الحساب يا هكترور .

وعندما لحق بوارو بمستر بوك فى الردهة كان الرجلان يغادران الفندق ، وكان الشاب يراقب نقل الأمتعة بعينين ساحرتين ، ولم يلبث أن فتح الباب الزجاجى وقال :

- كل شئ على ما يرام يا مستر راتشيت .

أوما الشيخ وخرج مزمجرا . وقال بوارو :

- ما رأيك فى هذين الرجلين ؟

قال مسيو بوك :

- انهما امريكيان .

- هذا واضح . ولكننى أعنى رأيك فى مظهرهما .

- أن الشاب ظريف ، ولكن الشيخ لا يروق لى أبداً . أنه أحدث فى نفسى انطباعا مزعجا . وأنت ؟

أجاب بوارو بعد لحظة :

- عندما مر بمائدتى فى المطعم خيل لى أن وحشا ضاريا قد أحتك بى .

- هذا الرجل الامريكى المحترم ؟

- نعم .

- لعلك على حق فإن الدنيا تعج بالاشقياء .

وفى هذه اللحظة فتح الباب وتقدم موظف الاستقبال بادى الانزعاج وقال :

- اننى لا أفهم يا سيدى . لا يوجد أى مكان خال بعربة النوم

بالدرجة الأولى .

صاح مسيو بوك :

كيف هذا ؟ .. فى مثل هذا الوقت من السنة ؟ ..

لا ريب أن جماعة من الصحفيين أو السياسيين ...

قال الموظف وهو ينحنى نحوه فى احترام :

- لا أدرى هكذا قيل لى .

قال مسيو بوك يخاطب بوارو :

- لا عليك . سوف نسوى هذه المسألة . هناك دائماً عربة نوم غير محجوزة .. العربة رقم ١٦ . أن المراقب يدخرها حتى اللحظة الأخيرة .

وألقى نظرة الى ساعته ثم قال :

- هلم بنا فقد حان الوقت .

وفى المحطة استقبل المراقب مسيو بوك فى احترام كبير وقال :

- مساء الخير يا سيدى . اننى حجزت لك المقصورة رقم ١ .

واستدعى الحمالين الذين نقلوا أمتعة الرجلين الى عربة عليها

لافتة معدنية تحمل هذه الكلمات :

القسطنطينية - تريستا - كاليه

يبدو أن العربات مشغولة بالكامل .

- هذا غريب يا سيدى . كان الجميع تواعدوا على السفر هذه الليلة ! .

- يجب أن تجد مكانا لهذا السيد على كل حال فهو صديقى .. اعطه رقم ١٦ .

- أنها محجوزة هى الأخرى يا سيدى .

- كيف هذا ؟ ... رقم ١٦ ؟

قال المراقب :

- نعم يا سيدى ... أن العربات كلها محجوزة كما قلت لك .

سأله مسيو بوك :

- ما الخبر ؟ ... هل هناك محاضرة في مكان ما ؟

- كلا يا سيدى . أن الصدفة وحدها هى التى جمعت كل هؤلاء الناس الليلة .

- فى بلغراد ستضم العربة القادمة من أثينا ، وفى وينكوس

العربة القادمة من بوخارست ولكننا لن نصل الى بلغراد الا غدا مساء فما العمل هذه الليلة ؟

أليست هناك أماكن خالية فى الدرجة الثانية .

- هناك مكانٍ واحد يا سيدى ، ولكن المكان الآخر تشغله امرأة ... وصيفة أحدى المسافرات بالدرجة الأولى .

قال مسيو بوك :

هذا أم مزعج .

وقال بوارو :

- لا تزعج نفسك يا صديقى ... سأنحنى مع الظروف .

- أبداً ... أبداً ...

وتحول مسيو بوك الى المراقب وسأله قائلاً :

- هل حضر الجميع ؟

- الواقع أن هناك مسافراً لم يأت بعد ... رجل يدعى مستر هاريس .

وكان يتكلم فى بطء وفى تردد فقال مسيو بوك يستحثه

- تكلم .

- المرقد رقم ٧ بالدرجة الثانية . لم يأت صاحبه حتى الآن

وسينطلق القطار بعد دقائق .

- اذهب بحقائب السيد الى هذا المرقد اذن . وإذا أقبل صاحبه قبل انطلاق القطار فسوف نجد له حلا كيفما يكون .

قال المراقب :

- حسنا يا سيدى .

ثم تحول الى الحمال وأشار له أين يضع حقائب مستر بوارو وافسح الطريق لهذا الأخير لكى يصعد .

وشق بوارو طريقة بكل مشقة لأن جميع المسافرين كانوا قد خرجوا الى الممر ، وكرر كلمة «عفوا» أكثر من مرة وبلغ المقصورة المعينة أخيراً وبداخلها كان الشاب الأمريكى الذى رآه بفندق توكاتليان وكان باسطا احدى ذراعيه نحو أحدى الحقائب ، وقطب جبينه عندما رأى بوارو وقال فى فرنسية ركيكة :

- معذرة ... ولكن لا ريب أن هناك خطأ .

سأله بوارو بالانجليزية :

- هل أنت مستر هاريس ؟

- كلا . أننى ادعى ماكوين ...

وفى هذه اللحظة قال له الكمسارى فى ارتياك :

ليس هناك أى مكان خال بكل القطار يا سيدى ، وأنا مضطر لأن أعطى هذا المرقد للسيد .

ثم وضع حقائب بوارو ، ولاحظ هذا الاخير فى شئ من الطرب لهجة المراقب المجاملة ، ولم يكن هناك ريب فى أنه تقاضى حلوانا كبيراً لكى يترك هذا المكان شاغراً ، ولكن الحلوان مهما بلغت قيمته لا يمكن أن تكون له أية فاعلية عندما يسافر مدير الشركة فى القطار ويصدر أوامره .

وخرج الكمسارى بعد أن وضع الحقائب فى المكان المخصص لها قائلا :

– ها هى ذى حقائبك يا سيدى ومرقدك هو المرقد العلوى رقم ٧ . سينطلق القطار بعد دقيقة .

وأبتعد فى الممر ودخل بوارو وهو يقول :

هذا أمر نادر الحدوث . لم يسبق لى أن رأيت مراقبا يضع الحقائب فى مكانها المخصص .

وابتسم زميله ، وكان قد تمالك نفسه ورأى أن من الحكمة تقبل الأمر الواقع فقال : أن القطار مزدحم .

وانطلقت الصفارة وبدأ القطار سيره فى صرخة طويلة حزينة .

وقال الشاب فجأة :

- اذا كنت تريد المرقد السفلى يا سيدى فعليك به .

وقال بواردو يحدث نفسه : - ان هذا الشاب ظريف حقاً .

وقال فى صوت مسموع : كلا . كلا . لا أريد أن أحرمك ...

- أن الأمر عندى سيان .

- أنت كريم حقاً . ولكنها ليلة واحدة ... ففى بلغراد ...

- آه . هل تهبط فى بلغراد .

- ليس تماما ... الحقيقة ...

واهتز القطار فتحول الرجلان نحو النافذة الزجاجية ورايا الرصيف يختفى امام عيونهما .

فقد بدأ قطار الشرق رحلته التى تستغرق ثلاثة أيام عبر أوروبا .

الفصل الثالث

بوارو يرفض مهمة

صحا هركيول بوارو فى اليوم التالى مبكراً وتناول افطاره وحده تقريبا فى عربة الطعام وقضى الصبيحة فى دراسة مذكراته عن القضية التى تستدعى عودته الى لندن . ولم يكن قد رأى زميله فى المقصورة الا للحظات قلائل .

وعندما ذهب الى عربة الطعام فى موعد الغذاء متأخراً بعض الشئ كان مسيو بوك يجلس الى أحدى الموائد ينتظره . وقد استقبله فى بشر وترحاب وطلب منه أن يجلس فى المكان الشاغر الذى أمامه .

وبعد أن فرغا من تناول الطعام تنهد مستر بوك فى سرور وردد البصر حوله وهو يقول : – آه ليت لى قلم بلزاك لكى أصف هذا المنظر . أظن ن احداً لم يفكر فى مثل هذا العمل من قبلى ، ومع ذلك فأمامنا موضوع يصلح لرواية يا عزيزى فهاهم عدد من الناس من كل الطبقات والجنسيات ومختلفى الأعمال لا يعرف أحدهم الآخر ومع ذلك فسيقضون ثلاثة أيام ينامون ويأكلون تحت سقف واحد ويعيشون عيشة مشتركة ثم يتفرقون بعد ثلاثة أيام

ويمضى كل منهم الى حال سبيله ولا يرى بعضهم البعض بعد ذلك أبداً .

- آه ، كلا يا صديقى .

- ذلك الا اذا وقعت كارثة .

- سيكون هذا امرا مؤسفا من وجهة نظرك . ولكن لنفرض لحظة أن حدثا قد يقع ... على كل حال سيجمع الموت بينهم جميعا .

وقال مسيو بوك :- هل لك فى كأس آخر من النبيذ ؟ ... أنت متشائم يا عزيزى ، ولعل هذا يرجع الى آنك تعانى من عسر هضم .

- الحق ان طعام سوريا لا يتناسب مع معدتى .

ورشف رشفة من النبيذ ثم اضطجع فى مقعده الى الخلف وردد البصر حوله . وأحصى سبعة عشر مسافرا من جميع الطبقات والجنسيات كما قال له مسيو بوك فراح يتأملهم .

كان يجلس الى المائدة التى الى جوارهم ثلاثة رجال يسافر كل منهم بمفرده عرف الساقى بذكائه وحدسه كيف يضمهم معا .. أيطالى ضخم ملوح البشرة أخذ ينظف أسنانه بسواك فى يده فى

ارتياح وأمامه رجل انجليزى متحفظ تنطق عيناه بذلك البرود الانجليزى المعروف وأمريكى عريض الكتفين تشير كل الدلائل الى أنه وسيط تجارى .

ونقل بوارو بصره الى مائدة أخرى صغيرة حيث تجلس امرأة مسنة دميمة جداً ، وأن كانت دمامتها من نوع فاتن جذاب ، كانت تجلس معتدلة القامة وتضع حول جيدها عقداً من اللؤلؤ الكبير كان يبدو أنه من اللؤلؤ الحقيقى وتغطى أصابعها بعدد كبير من الخواتم وتلبس معطفا من الفرو الثمين وقبعة ثمنية جداً لا تتناسب مع وجهها الشاحب الشبيه بوجه الضفدع .

كانت تتكلم فى هذه اللحظة بالذات مع الساقى فى لهجة مهذبة مترفعة قالت :- ارجو أن تتكرم وتأتينى فى مقصورتى بزجاجة من المياه المعدنية وكوب من عصير البرتقال ، وأحرص على أن يتكون العشاء الليلة من الدجاج البارد .

ورد الساقى عليها باحترام قائلاً أنها يمكن أن تعتمد عليه فى ذلك ، فأحنت رأسها ثم نهضت والتقت عيناها بعينى بوارو ولكنها حولت بصرها عنه بذلك البرود الذى يتصف به علية القوم

وقال مستر بوك في صوت خافت :- أنها الأميرة دراجوميروف ... روسية الجنسية ، وكان زوجها قد وظف أمواله كلها في الخارج قبل الثورة وهي الآن واسعة الثراء . أنها دميمة جدا ولكنها شخصية هامة .

وكانت ماري دبنهام تجلس الى مائدة أخرى ومعها امرأتان أخريان أحداهما طويلة القامة يتراوح سنها بين الخامسة والثلاثين والأربعين سنة ترتدي بلوزة من القماش الاسكتلندي وجوبة من التويد تجمع شعرها في حلقة فوق قمة رأسها وتضع فوق عينيها نظارة وتصغى في اهتمام الى حيث زميلتها وكانت تتكلم في صوت خفيض بطئ دون أن تتوقف وسمعها بوارو تقول :

- وعندئذ قالت لي ابنتي لا فائدة من تطبيق الوسائل الأمريكية في هذا البلد فالناس هنا متكاسلون تنقصهم الحيوية ، ومع ذلك فانك لتدهشينني للنتائج التي حصلت عليها لكليتنا فإن القائمين على ادارتها أساتذة أكفاء ... لاشئ يعدل التعليم بالنسبة لي ، وتقول ابنتي ...

ودخل القطار نفقا في هذه اللحظة فضاع الحديث .. وكان الكولونل أرتبنوت يجلس الى المائدة الصغيرة التالية بمفرده وقد

تعلقت عيناه بظهر مارى دبنهام . كان كل منهما يجلس بعيداً عن الآخر بينما كان المفروض أن يجلسا معا فلماذا ؟ .

هل ترددت مارى دبنهام فى الجلوس معه بدافع الحرص خوفاً على سمعتها كمربية أطفال ؟

وتابع بوارو دراسته . ورأى فى الناحية الأخرى من العربة سيدة ترتدى ثيابا سوداء كان يبدو أنها ألمانية أو اسكندينافية ... ولم يكن هناك ريب فى أنها خادمة .

ويجئ بعد ذلك فتى وفتاة وقد انحنى كل منهما نحو الآخر وراحا يتحدثان فى اهتمام . كان الرجل يرتدى بذلة من النسيج الانجليزى ولكنه هو نفسه لم يكن انجليزيا . والتفت فى هذه اللحظة واستطاع بوارو أن يتأمله جيدا . كان رجلا وسيما جدا فى نحو الثلاثين من عمره له شاربان شقراوان .

أما السيدة التى تجلس معه فكانت فى العشرين ترتدى تاييرا أنيقا أسود اللون فوق بلوزة من الساتان الأبيض وقبعة صغيرة سوداء . وكانت بيضاء البشرة ذات عينين داكنتين وشعر أسمر وتدخن سيجارة فى مبسم طويل من العنبر وفى يدها زمردة على قاعدة من البلاتين وكان فى صوتها وفى عينيها دلال كبير وتمتم

بوارو :

- أنها جميلة ... وأنيقة ... لا ريب أنهما زوجان .

وقال بوك :- نعم ... نعم ... انه ينتمى الى سفارة هنغاريا .

ولم يبق بعد ذلك غير رجلين اثنين وهما زميل بوارو فى مقصورته : مستر ماكوين ورئيسه مستر راتشيت . وللمرة الثانية فحص بوارو وجه الشيخ الذى يفتقر الى الجاذبية وقارن بين سماحة بقية التقاطيع وقسوة العينين الصغيرتين الغائرتين . ولا ريب أن مستر بوك لحظ تغييراً فى سحنة صديقه لأنه قال :

- هل تنظر الى وحشك الضارى ؟

أجابه بوارو :- نعم .

واذ جئ بالقهوة لبوارو نهض مستر بوك ، فقد بدأ طعامه قبل قدوم صديقه وفرغ منه منذ لحظات .

وقال :

- اننى ذاهب الى مقصورتى ، فالحق بى لكى نثرثر معاً .

- بكل سرور .

واحتسى بوارو قهوته ثم طلب كأسا من الشراب . ودفعت ماري دبنهام مقعدها الى الخلف وغادرت العربة بعد أن ودعت السيدتين الاخريين بايماءة خفيفة من رأسها . ونهض الكولونل أرتبنوت وتبعها ، ثم خرجت الأمريكية والسيدة التى معها . وكان الزوجان الهنغاريان قد غادرا العربة قبل ذلك فلم يبق بها الا بوارو وراتشيت وماكوين .

وهمس راتشيت بكلمة في أذن زميله فنهض وانصرف ثم نهض هو نفسه : وبدلاً من أن يخرج بدوره أقبل فجلس الى مائدة بوارو وهو يقول فى صوت رقيق :- هل تتكرم وتعطينى عودا من الثقاب . اننى أدعى راتشيت .

وانحنى بوارو ودس يده فى جيبه وبسط له علبة من الثقاب .

- هل لى شرف التحدث الى مستر بوارو ؟

انحنى بوارو مرة أخرى وأجاب :- لم يخدعوك يا سيدى . أنا هركيول بوارو .

وقبل أن يتابع راتشيت حديثه تأمل بوارو مليا ثم قال أخيراً :- أننا فى بلادنا نذهب الى الغاية قدما . أننى أريد أن تعمل لحسابى يا مستر بوارو .

رفع هركيول بوارو حاجبيه قليلا وقال :- سيدى . أن عملائى في الوقت الحاضر محدودون ، ولا أهتم الا بعدد ضئيل من القضايا الجنائية .

- اننى أفهم ذلك يا مستر بوارو . ولكننى أعدك أنك لن تخسر شيئاً .

أخلد بوارو الى التفكير دقيقة أو دقيقتين ثم قال :- حسنا ... ماذا تريد منى يا مستر ... راتشيت .

- اننى غني يا مستر بوارو ... غنى جداً ، والناس الذين فى مركزى لهم أعداء كثيرون وأنا لى عدو ...

- عدو واحد ؟

- لم هذا السؤال ؟

- أن رجلا فى مثل مركزك يخلق له أعداء ولا يمكن أن يكون له عدو واحد .

بدأ كأن هذا الرد أراح راتشيت لأنه أسرع يقول : طبعاً . أننى أفهم وجهة نظرك ، ولكن عدوا واحداً أو أعداء كثيرين ... الأمر سيان .. أن ما يهمنى قبل كل شئ هو سلامتى .

- سلامتك ؟

- نعم . أن حياتى مهددة يا مستر بوارو ، وأنا جدير بأن أدافع عن نفسى ...

وأخرج مسدسا صغيراً من جيب سترته واستطرد : لن يتمكنوا منى بسهولة ، ومع ذلك فالحذر والحيطة واجبان ، وأنت الرجل الذى يلزمنى يا مستر بوارو . وكما قلت لك سأجازيك بسخاء .

لزم بوارو الصمت والهدوء بضع لحظات ، وما كان فى استطاعة محدثه أن يحدس ما يدور في رأسه .

وأخيراً قال :

- يؤسفنى جداً أننى لا أستطيع خدمتك يا سيدى .

حدجه الآخر لحظة ثم قال :- حدد المبلغ الذى تريد .

ولكن بوارو هز رأسه وقال :- يبدو أنك لم تفهم يا سيدى . أننى أصبت نجاحا كبيراً فى مهنتى وجمعت ما يكفينى أنا ونزواتى حتى آخر العمر ، ولا أهتم الآن الا بالقضايا التى تثير اهتمامى .

- أنك رجل صعب المراس ... الا تغريك عشرون الف دولار ؟ .

- أبداً .

- اذا كنت تأمل المزيد بترددك هذا فإنك تضيع وقتك ، فإننى أعرف قيمة الأشياء .

- وأنا أيضاً ... يا مستر راتشيت .

- ما الذى لا يعجبك فى عرضى هذا أذن ؟

نهض بوارو وقال :- ما دمت تصر فاسمح لى أن أقول لك ... أن رأسك لا تروق لي يا مستر راتشيت .

وغادر عربة الطعام على أثر ذلك .

الفصل الرابع

صرخة فى الليل

وصل قطار سمبلون الشرق الى بلغراد فى الساعة التاسعة الا الربع مساء . وكان المفروض أن لا يواصل الرحلة الا فى التاسعة والربع ولهذا هبط بوارو على الرصيف ولكنه لم يبق به طويلا فقد كان الطقس قارس البرودة وكان الثلج يتساقط فى الأماكن العارية من الرصيف فعاد الى مقصورته . وكان المراقب واقفا على الرصيف يضرب الأرض بقدمه اليسرى ليسرى الدفء الى جسده . وقد قال له :

– سيدى . لقد نقلت حقائبك الى المقصورة رقم ١ وهى مقصورة مستر بوك .

– وأين ذهب مستر بوك ؟؟

– انه انتقل الى العربة القادمة من اثينا وقد الحقوها بالقطار .

وبحث بوارو عن صديقه . ولم يقبل مستر بوك احتجاجه وقال :– ليس هذا شيئاً . مادمت ستذهب الى انجلترا رأسا فمن الأوفق أن تبقى فى عربة كاليه ، وأنا هنا على ما يرام فالعربة تكاد تكون شاغرة الا منى أنا وطبيب يونانى . آه يا صديقى . اننا

سنقضى ليلة ليلاء . منذ سنوات كثيرة لم نر ثلجا يتساقط بهذه الوفرة وأنى لارجو أن لا يحاصرنا الثلج . أؤكد لك أن هذا الاحتمال لا يروق لى أبداً .

وفى الساعة التاسعة والربع انطلق القطار ، وبعد قليل تمنى بوارو لصديقه ليلة طيبة ثم مشى فى الممر الطويل عائداً الى عربته بجوار عربة الطعام .

وكانت الجسور قد بدأت تتحطم بين المسافرين ، فقد كان الكولونل ارتبنوت واقفا يتحدث مع ماكوين .

وأمسك ماكوين عن الكلام عندما رأى بوارو وقال وقد بدت عليه الدهشة :- آه ! حسبتك غادرت القطار . ألم تقل لى أنك ستغادره فى بلغراد .

أجاب بوارو وهو يبتسم :- أنت لم تفهمنى .

- انهم أخذوا حقائبك ... أنها اختفت .

- أبداً . أنما نقلوها إلي مقصورة أخرى .

- آه . حسنا .

وعاد ماكوين الى حديثه مع الكولونل ارتبنوت وابتعد بوارو .

وقبل أن يبلغ مقصورته رأى الأمريكية العجوز ، مسز هوبارد تتحدث مع زميلتها السويدية وتعرض عليها مجلة قائلة :

- خذيها . ان لدى مجلات كثيرة أخرى . يا لهذا الطقس الكريه !

ونظرت الى بوارو مبتسمة فى حين قالت السويدية :- أشكرك كثيراً .

- اذهبى الى فراشك ونامى فيزول صداعك .

- أن ما بى انما هو بسبب هذا البرد . سأعد لنفسى كوبا من الشاى الساخن .

- هل تريدين قرصا من الأسبرين ؟ ... آه ، معك أقراص منه ؟ ... حسنا ، طابت ليلتك .

وعندما ابتعدت تحولت مسز هوبادر الى بوارو وقالت له :- انها سويدية ... وهى تعمل بالتبشير . أنها ظريفة ولكنها لا تجيد الانجليزية . وقد اهتمت كثيراً بما رويت لها عن ابنتى .

ولم يلبث أن عرف بوارو وكل الذين يفهمون الانجليزية من المسافرين كل شئ عن أبنة مسز هوبارد . كانت ابنتها وصهرها

يشتغلان بالتدريس فى أزمير . وكانت مسز هوبارد تقوم بأول رحلة لها فى الشرق وتذكر لكل من تراه رأيها فى الاتراك وفى كسلهم وشوارعهم .

وفتح باب المقصورة القريبة وخرج الخادم الانجليزى منها . وفى الداخل رأى بوارو مستر راتشيت جالسا على المرقد . وما أن وقع نظر المليونير عليه حتى تغيرت سحنته وتوترت لفرط الغضب ثم أغلق الباب .

وأنتحت مسز هوبارد ببوارو جانبا وقالت له :- أن هذا الرجل يخيفنى كل الخوف . لا أقصد الخادم وإنما سيده . أن فى عينيه شيئاً غريبا . وتقول ابنتى أن غزيزتى لا تخطئ أبداً فى الحكم على الناس . وقد كونت رأيى فى هذا الرجل ولا أشعر بأية طمأنينة اذ أراه يحتل المقصورة التى بجوارى . وقد جمعت حقائبى فى الليلة الماضية وكومتها خلف الباب الفاصل بيننا . وقد خيل لى أننى أرى الاكرة تتحرك ، ولن أدهش اذا علمت أنه من لصوص القطارات . أعرف أن ما أقول إنما هو حماقة ولكن ما العمل ؟ ... أن هذا الرجل يخيفنى .. كيف يكون ذلك الشاب الوسيم سكرتيراً لهذا الرجل البغيض ؟ .

وأقبل الكولونل ارتبنوت وماكوين نحوهما . وكان ماكوين يقول :- تعال الى مقصورتى أريد أن أعرف سياستكم فى الهند فيما يتعلق ... وقطع الرجلان الممر وذهبا الى مقصورة ماكوين . وتمنت مسز هوبارد لبوارو ليلة طيبة قائلة :

- سأذهب الى فراشى على الفور وأقرأ فترة من الوقت . طابت ليلتك .

ومضى بوارو الى مقصورته ، وكانت تجاور هى الأخرى مقصورة راتشيت . ونضا عنه ثيابه واستلقى فى فراشه وقرأ نصف ساعة قبل أن يطفىء النور .

وبعد بضع ساعات صحا من نومه مذعوراً ... فقد أيقظه صوت مكتوم أشبه بصيحة قريبة وفى نفس الوقت صلصل الجرس.

وصحا بوارو تماماً وجلس وأدار النور . وكان القطار قد توقف ، ولا شك أنه كان واقفا فى احدى المحطات . وتذكر عندئذ أن راتشيت يشغل المقصورة المجاورة لمقصورته فنهض وفتح الباب . وفى نفس اللحظة اقبل المراقب بكل سرعة وطرق باب راتشيت . وترك بوارو بابه مواربا وبقى متيقظا . وطرق المراقب باب راتشيت للمرة الثانية وفى نفس اللحظة ارتفع رنين جرس آخر وظهر نور

أحمر فوق باب يبعد كثيراً يشير الى أن أحد المسافرين يطلب المراقب.

وارتفع صوت من مقصورة راتشيت يقول فى فرنسية سليمة :- ليس هناك شئ .. اننى أخطأت .

- حسنا يا سيدى .

ومضى المراقب مسرعاً الى الباب الذى ظهر النور الأخر فوقه .

وعاد بوارو الى فراشه فى شئ من الارتياح وأطفأ المصباح بعد أن ألقى نظرة الى ساعته ... كانت الواحدة الا ثلاث وعشرين دقيقة بالتدقيق .

الفصل الخامس

الجـريمة

ولم يجد الى النوم سبيلاً بعد ذلك . افتقد قبل كل شئ حركة القطار المهدهدة وبدت له هذه المحطة هادئة . وعلى العكس من ذلك أزدادت جلبة عربة النوم وضوحاً وكان مجرد فتح صنبور يسمع له صدى عجيب . وسمع راتشيت يتحرك في مقصورته ومر بالممر شخص يلبس خفاً .

رفع بوارو عينيه الى السقف وهو يتساءل لماذا هذا السكون المطبق في المخطة وأحس بجفاف في حلقه . وكان قد نسى أن يطلب زجاجة من المياه المعدنية . والقى الى ساعة يده نظرة فإذا بها الواحدة والربع . وهم بأن يضغط على الجرس لكي يطلب كوباً من الماء ولكنه توقف فقد ارتفع رنين جرس آخر ، ولم يكن في وسع المراقب أن يلبى طلبين في وقت واحد .

وظل الجرس يصلصل دون أن يرد المراقب ، ولكنه أقبل أخيراً وهو يركض وطرق بابا بجوار بوارو .

ولم يلبث أن سمع هذا الأخير صوت المراقب يتحدث ثم ثرثرة مسز هوبارد ، ولم يسعه الا أن يبتسم . وأستمر الحديث لحظة ،

وكانت السيدة تتكلم بغير انقطاع ولا تترك الوقت للمراقب المسكين لكى ينطق بكلمة . وأخيراً بدا كأن كل شئ قد تدبر وسمع بوارو المراقب يقول :

- طابت ليلتك يا سيدى .

وضغط بوارو عندئذ على زر الجرس وقال للمراقب حين أسرع اليه :- هل لك أن تأتينى بزجاجة من المياه المعدنية ؟

- حسنا يا سيدى .

وغمز المراقب بعينيه لبوارو وقال :- هذه السيدة الأمريكية ...

- ماذا حدث لها ؟

جفف المراقب جبينه وقال :- انها تزعم أن رجلا يختبئ فى مقصورتها . أرأيت الى ذلك ؟ أين يمكن لأحد أن يختبئ فى هذا المكان الضيق ؟ حاولت أن أجعلها تفهم استحالة زعمها هذا ولكنها لا تزال تؤكد أنها رأت رجلا حين استيقظت . وقد سألتها كيف تمكن من الانصراف والباب مغلق من الداخل ولكنها لا تريد أن تفهم . كان المضايقات لا تنقصنا ... أن هذا الثلج ...

الثلج ؟ ...

– نعم يا سيدى . الم يلحظ السيد أن القطار لا يسير ؟ أن الثلج قد أرغمه على الوقوف ولا يعلم غير الله الى متى سنبقى هنا . اتذكر اننا حوصونا بالثلج مرة لمدة سبعة أيام .

– أين نحن الآن ؟

– بين فينكوفكي وبرود .

تنهد بوارو وقال :– يا للحظ السيئ .

وابتعد الرجل ولم يلبث أن عاد بعد قليل ومعه زجاجة من المياه المعدنية .

وشرب بوارو كوبا من الماء وتمدد لكى ينام ولكن ما كاد النعاس يطبق على عينيه حتى صحا من جديد وقد خيل اليه أن شيئاً ثقيلا وقع على مقربة من بابه .

ووثب من فراشه وفتح الباب والقى نظرة الى الخارج فلم يجد شيئاً . ولكن ، بعيداً قليلا ، الى اليمين كانت هناك امرأة تبتعد ، وكانت ترتدى منامة حمراء . وفى الناحية الأخرى من العربة كان المراقب جالسا أمام طاولة صغيرة يحصى بعض الأرقام فى أوراق كبيرة . كان كل شئ هادئاً .

وتمتم يقول وهو يعاود النوم :– أن أعصابى متعبة بلا

شك .

وفى هذه المرة نام حتى الصباح .

وعندما فتح عينيه كان القطار لا يزال واقفا مكانه . ورفع الستار لكى يلقى نظرة الى الخارج فرأى أكداساً من الثلج تحيط بالقطار .

ونظر الى ساعته فإذا بها قد تجاوزت التاسعة . وفى الساعة العاشرة الا ربع كان قد تأنق فى ارتداء ثيابه كعادته حين دخل عربة الطعام حيث سمع سيلا من الشكوى والعويل .

فقد انقطعت الآن كل الحواجز الاجتماعية بين المسافرين ، وقربت المصيبة بين الجميع وكانت مسز هوبارد أشد الجميع تحسرا فقد كانت تقول :

– قالت لى ابنتى أن أستريح تماماً فى القطار حتى باريس . كم سنبقى هنا دون أن نتحرك . والباخرة التى ستبحر بعد غد . ما العمل ؟ ... اننى حتى لا أستطيع أن أبرق لالغاء مكانى . أننى لأستشيط غضباً عندما أفكر فى ذلك .

وقال الايطالى أن أعمالا على جانب كبير من الأهمية تنتظره فى ميلان . وحاول الأمريكى ذى الثياب الزاهية أن يواسى

زميلته قائلاً أن القطار يمكن أن يعوض التأخير .

وقالت المرأة السويدية :- واختى وأولادها الذين ينتظرون . الا يمكن أن أنذرهم فماذا يقولون ؟ سيعتقدون أن كارثة وقعت لى .

وقالت مارى دبنهام :- الى متى سنمكث هنا ؟ ... ايدرى أحد ؟

ونم صوتها عن شئ من نفاذ الصبر ولكن بوارو لم يجد فيه أى أثر لذلك القلق العصبى الذى ابدته أثناء توقف قطار طوروس القصير .

وعادت مسز هوبارد الى شكاواها فقالت :- ثم أننا لا نجد من يدلنا فى هذا القطار . أن هؤلاء الأجانب لا يفكرون فى انقاذنا من هذه الورطة . لو أننا فى أمريكا ...

تحول أرتبنوت الى بوارو وخاطبه يقول بفرنسية تشوبها اللكنة الانجليزية :

- أظنك مدير الشركة يا سيدى ، فهل يمكن أن تخبرنا ؟

ولكن بوارو أجابه وهو يبتسم :- كلا ، كلا ، لست أنا . انك تخلط بينى وبين صديقى مستر بوك .

- أوه ، أرجو المعذرة .

- لا عليك ... هذه الغلطة طبيعية ، لأننى أشغل مقصورته القديمة فى هذه اللحظة .

ولم يكن مستر بوك موجوداً فى عربة الطعام . وردد بوارو البصر حوله ليرى من غيره غير موجود .

وكانت الأميرة دراجوميروف متغيبة وكذلك الزوجان الهنغاريان وراتشيت وخادمه والخادمة الألمانية .

وجففت السويدية عينيها قائلة :- أن من السخف أن أبكى هكذا ... يجب أن نتقبل قدرنا مهما يقع .

وقالت مسز هوبارد فى صوت شاك :- فى أى بلد نحن ؟

وعندما أجابوها بأنهم فى يوغوسلافيا صاحت :- أوه ... الأراضى البلقانية ثانية ! ... ما الذى سيقع لنا .

وقال بوارو يخاطب مارى دبنهام :- أنت وحدك التى تبدين شيئاً من الصبر .

هزت كتفيها وقالت :- وفيم تنفع الشكوى ؟

- أنت فيلسوفة يا آنسة . ثم أنك شجاعة وتملكين قوة أدبية أكثر منى .

- ولكننى أعرف شخصا أقوى منى فى هذه الناحية بكثير .

- ومن هو ؟

- هى تلك السيدة المسنة الدميمة والتى تملك على الرغم من دمامتها شيئاً من الفتنة والجاذبية . يكفى أن ترفع أصبعا وأن تنطق ببضع كلمات لكى يهرع جميع موظفى القطار اليها .

- أنهم يهرعون أيضاً لتلبية طلبات صديقى مستر بوك لأنه أحد مديرى الشركة .

وفى هذه اللحظة تقدم أحد موظفى القطار منه وقال :- معذرة يا سيدى . أن مستر بوك يريد أن يتحدث بضع دقائق معك .

وأعتذر بوارو للانسة دبنهام وتبع الموظف الى أحدى عربات الدرجة الثانية لا ريب أنها أختيرت لأنها كانت أكثر العربات اتساعا ، وكانت مزدرحمة بالموجودين .

وكان مستر بوك جالسا فى الصدارة والى جواره رجل قصير أسمر ينظر الى الثلج من خلال النافذة ، وكان يقف بالباب رجل ضخم هو مفتش القطار وبجواره المراقب . وقال مسيو بوك :

- آه ، أهذ أنت يا صديقى العزيز ؟ ... تعال ... اننا بحاجة

اليك .

وترك الرجل القصير الأسمر الجالس بجوار النافذة مكانه لبوارو الذى قال :- ماذا حدث ؟

- أشيـاء كثيـرة ، هذا الثلج أولا ... ثم توقف القطار و ...

وسكت لحظة ثم أردف :- ولقى أحد المسافرين مصرعه الليلة قتلا .

- أحد المسافرين ؟ ... ومن هو ؟

- أمريكى ... وهو يدعى (ونظر الى الأوراق التى قد يده وقال) ... راتشيت ، أليس كذلك ؟

أجاب المراقب :- نعم يا سيدى .

نظر بوارو الى هذا الأخير ... كان وجهه أبيض كالثلج فقال :- فليجلس هذا الرجل . أنه سيغمى عليه .

وارتد المفتش فى حين تهالك المراقب فوق مقعد وهو يدفن وجهه بين يديه .

وقال بوارو :

- هذا أمر خطير .

- طبعاً . أن جريمة القتل حادث بغيض ، ولكن الأمور تتعقد

هذه المرة ، فقد نبقى هنا ساعات ... أو أياما كاملة . ثم أنه في البلاد الأخرى يصعد ممثلو القانون الى القطار للتحقيق أما فى يوغوسلافيا فلا يهتم بنا أحد ... وأظنك تفهم هذا .

- نعم . أن هذا الموقف يزداد سوءا .

قال بوك :- هو ذلك .. دكتور قسطنطين .

أرجو المعذرة لأننى لم أقدم لك مستر بوارو

تبادل الرجل القصير الأسمر والمخبر السرى التحية . واستطرد مستر بوك يقول :- يرى الدكتور أن الجريمة وقعت فى الساعة الواحدة صباحا .

سأل مستر بوارو :- متى رؤى مستر راتشيت لآخر مرة ؟

أجاب مستر بوك :- فى الساعة الواحدة الا الثلث ... تحدث مع المراقب .

- هذا صحيح ، فقد سمعته أنا نفسى . هل هذه آخر مرة رؤى فيها راتشيت وهو على قيد الحياة ؟

- نعم .

وأردف الطبيب يقول :- وكانت نافذة مقصورة مستر راتشيت

مفتوحة لكى نعتقد أن القاتل فر منها ... ولكن لو أن هذا حدث لانطبعت بعض الآثار على الثلج وليس هناك أى أثر .

- ومتى اكشفت الجريمة ؟

- ميشيل !

نهض المراقب مذعوراً فأمره مستر بوك قائلاً :- أذكر لمسيو بوارو ما حدث تماماً .

وتكلم الرجل فى صوت مضطرب فقال :- فى الصباح طرق خادم مستر راتشيت باب سيده مرارا ولكنه لم يسمع أى جواب . ومنذ نصف ساعة أراد الساقى بعربة الطعام أن يعرف متى يريد ذلك السيد أن يتناول طعام الافطار ، وكانت الساعة الحادية عشرة عندئذ وفتحت له الباب بنفسى ولكننى لم أستطع فتحه لأن سلسلة الأمان كانت موضوعة من الداخل ولا أحد يرد أو يتحرك ، وكان الطقس بارداً ، شديد البرودة لأن النافذة كانت مفتوحة والثلج يدخل من خلالها وحسبت أن السيد قد يكون مريضاً فبحثت عن مفتش القطار وحطمنا الباب لكى ندخل . ووجدنا مستر راتشيت .. آه ... هذا فظيع .

ومن جديد دفن وجهه بين يديه . وقال بوارو :- كان الباب

مغلقا وموصداً من الداخل ... أفلا يمكن أن يكون الأمر انتحاراً ؟؟

ضحك الطبيب اليونانى متهكما وقال :- وكيف ينتحر رجل فيطعن نفسه أثنى عشرة طعنة فى أماكن مختلفة من جسده ؟

اتسعت عينا بوارو وقال :- ما هذه الوحشية ؟ ولأول مرة تكلم مفتش القطار فقال :- صدقونى انها امرأة ... أن المرأة وحدها هى التى تطعن بهذه الصورة .

قطب الدكتور قسطنطين جبينه وقال :- اذا كانت امرأة كما تقول فلا بد أنها تملك قوة هائلة . ومن غير أن أدخل فى تفاصيل فنية أستطيع أن أقول أن طعنة أو طعنتين سددتا اليه بقوة شديدة بحيث أخترقت بعض العضلات وقطعتها قطعا .

- هل أفهم من هذا أن الجريمة ليس فيها أى خبرة فنية ؟

أجاب الدكتور قسطنطين :- هو ذلك ، فيبدو أن بعض الطعنات سددت كيفما اتفق بحيث لم تتجاوز الجلد نفسه . ويخيل لى أن القاتل أغمض عينه وراح يضرب .

عاد المفتش يقول :- انها امرأة ... هكذا النساء . أن الغضب يمنحهن قوة .

وقال بوارو :- سأحدثكم بأمر جديد ، وهو أن مستر راتشيت تكلم معى أمس وفهمت منه أن حياته كانت مهددة .

- لعل فى الأمر أحدى هذه العصابات الأمريكية . لو صح هذا فلم تقتله امرأة .

بدا الاستياء على مفتش القطار لانهيار نظريته . وقال مستر بوك متابعا رأيه :- أننى لاحظت أن بالقطار أمريكيا ضخما يرتدى ثيابا زاهية اللون ويلوك بعض اللبان .

قال الكمساري عندئذ :- انه يشغل المقصورة رقم ١٦ يا سيدى . ولكن لا يمكن أن يكون هو القاتل لأننى لم أره يخرج من مقصورته .

- ليس هذا مؤكداً . سنعود الى هذه النقطة فيما بعد . ولكن ماذا نفعل الآن ؟

واستطرد يقول بعد تبادل النظر مع بوارو :- لاشك أنك تدرك ما انتظره منك يا صديقى . اننى أعرف مقدرتك فتول التحقيق بنفسك . لا ترفض مساعدتى فإن هذه القضية شديدة الخطورة بالنسبة لى .. أعنى بالنسبة للشركة الدولية لعربات النوم . وسيكون الأمر سهلا اذا استطعنا اكتشاف القاتل قبل أن يتدخل

البوليس اليوغسلافى وإلا فسوف نلاقى صعوبات من كل نوع . بل قد يتهمون بعض الأبرياء فى حين انك اذا اهتديت الى الحل فسيكون فى مقدورنا أن نقول :- أن جريمة قتل ارتكبت وها هو القاتل .

- واذا اخفقت ؟

قال بوك فى لهجة رقيقة :- اننى أعرف شهرتك وسمعت عن وسائلك . هذه قضية من تلك التى تحلو لك ، ودراسة سوابق كل هؤلاء الناس وحالاتهم يتطلب وقتا ومشاكل كثيرة . ولكن ألم تقل لى مراراً أنه لكى تكتشف قاتلا يكفى أن تجلس وأن تفكر . حسنا ، عليك بالعمل اذن . استجوب المسافرين وأفحص الجثة وأفحص الأدلة والقرائن التى ستعرض عليك ، وانى أؤكد لك انك ستفلح وتشير لنا الى الجانى .

قال بوارو متأثراً :- أن ثقتك فى تشرفنى يا صديقى . وكما تقول فإن المسألة ليس من السهل حلها ، فإننى فى اللية الماضية ... ولكننى لا أريد أن أستبق الأحداث . منذ نصف ساعة فقط كنت أفكر فى المستقبل فى خوف وأقول ، لنفسى اننا سنقضى وقتا طويلاً قبل أن ينحسر الثلج ويستطيع القطار أن يستأنف

سيره ، وأن الوقت سيكون مملا الى حد كبير . ولكن ها هو ذا لغز من أشد الالغاز غموضا ...

- إذن فأنت تقبل ؟

- نعم . ولكنني أريد قبل كل شئ رسما تفصيلياً لعربة اسطمبول - كاليه وأسماء المسافرين الذين يشغلونها وجوازات السفر والتذاكر .

- ميشيل ... اجمع كل هذا .

وأسرع المراقب بمغادرة المقصورة فى حين قال بوارو :- ومن هم المسافرون الآخرون ؟

- لا يوجد فى هذه العربة غيرى أنا والدكتور قسطنطين ، وفى عربة بوخارست رجل مسن له ساق مبتورة ويعرفه المراقب جيداً ، ثم هناك عربة البضاعة وهى لا تهمنا فى شئ لأن أحداً لا يشغلها .

- يبدو أذن أنه لابد لنا من أن نبحث عن القاتل فى عربة أسطمبول - كاليه ، هذا رأيك ، اليس كذلك ؟

ووجه الكلمات الأخيرة للدكتور قسطنطين فأجابه هذا الأخير :- منذ منتصف الساعة الواحدة ونحن محاصرون بكتل من الثلج

ومنذ ذلك الوقت لم يستطع أحد مغادرة القطار .

وقال مستر بوك :- وإذن فالقاتل بيننا ... فى هذا القطار بالذات .

الفصل السادس

أهي امرأة ؟

قبل كل شئ أريد أن القى كلمة على مستر ماكوين فقد يستطيع أن يدلي الينا ببعض المعلومات الثمينة .

قال مستر بوك :- طبعاً .

وتحول الى مفتش القطار وقال :- قل لمستر ماكوين أن يحضر .

وأقبل المراقب فى هذه اللحظة ومعه عدد من جوازات السفر والتذاكر أخذها مستر بوك قائلاً :

- شكراً لك يا ميشيل . من الأوفق أن تعود الى عملك . قد نستجوبك فيما بعد .

- حسنا يا سيدى .

وقال بوارو :- أرجو أن يتكرم الدكتور فيرافقنى الى مقصورة القتيل بمجرد أن أفرغ من مستر ماكوين .

- كما تشاء يا سيدى .

- ثم ...

ولكن المفتش عاد ومعه مستر ماكوين فنهض مستر بوك وقال

:- أن المكان مزدحم .. اجلس في مقعدى يا مستر ماكوين . سيبقى مستر بوارو جالسا أمامك .

وتحول الى المفتش وقال له :- أعمل على أن يغادر الجميع مركبة الطعام وأن تكون تحت تصرف مستر بوارو ... ستكون فيما على ما يرام يا صديقى لأجراء التحقيق .

- نعم . يكون هذا أفضل فى الواقع .

ويقى ماكوين واقفا ينقل بصره بين الموجودين وهو لا يستطيع متابعة الحديث الذى كان يدور بالفرنسية . وقال أخيراً فى فرنسية ركيكة .

- ماذا هناك ؟ ... ما الذى يجرى فى القطار ؟ .. هل حدث شئ ؟

أجاب بوارو :- هو ذلك ... حدث شئ .. وأرجو أن تتحمل الصدمة لأنها عنيفة ... أن مخدومك مستر راتشيت مات .

أطلق ماكوين صفيراً . وفيما عدا الشعلة الخفيفة التى لمعت فى عينيه لم يبد عليه أى حزن أو انفعال وقال :

- لقد ظفروا به أخيراً هذه المرة .

- ماذا تعنى يا مستر ماكوين ؟

تردد ماكوين لحظة وسأله بوارو :- انك تعتقد أن مستر راتشيت لق مصرعه قتيلا ؟

- ألم يقتل ؟

وارتسمت على وجهه هذه المرة امارات الانفعال والدهشة الشديدة :- الحق اننى ظننت انه قتل . هل تعنى أنه مات ميتة طبيعية أثناء نومه ؟ ... أن صحته كانت ...

قاطعه بوارو قائلا :- كلا . أن شكوكك فى محلها ، فقد قتل مستر راتشيت ... مات طعنا بالسكين وأرجو أن توضح لى لماذا كنت متأكداً من أن فى الأمر جريمة وأنه لم يمت ميتة طبيعية .

فكر ماكوين بضع دقائق ثم قال :- أود أولاً أن أعرف من أنت وما هو دورك فى هذه المسألة .

- أننى أمثل الشركة الدولية لعربات النوم ، وأنا مخبر سرى واسمى هركيول بوارو .

وإذا كان بوارو قد توقع أن يؤثر فى الشاب فقد خاب فأله لأن ماكوين لم يزد عن أن قال : «آه ، نعم» وانتظر أن يتابع بوارو حديثه .

- لعلك سمعت باسمى ؟

– الواقع أن هذا الأسم ليس غريبا على ولكننى كنت أعتقد أنه لقب ترزى كبير .

حدجه بوارو فى ازدراء وقال :– هذا عجيب !

– ماذا تعنى ؟

– لاشئ . لنعد الى الموضوع الذى يهمنا . أرجو أن تخبرنى بكل ما تعرف عن القتيل يا مستر ماكوين .

هل أنت أحد أقاربه ؟

– كلا ... أننى ... أو بالأحرى كنت سكرتيره ...

– ومنذ متى وأنت تشغل هذه الوظيفة ؟

– منذ سنة .

اذكر لى كل ما تعرفه من معلومات .

– اننى تعرفت بمستر راتشيت منذ أكثر من سنة ، عندما كنت فى ايران .

– وماذا كنت تفعل في ايران ؟؟

– كنت قد انتقلت اليها من نيويورك لزيارة أحدى شركات البترول ، ولا داعى للدخول فى التفاصيل فإن الشركة أفلست ، وكان مستر راتشيت يقيم فى نفس الفندق الذى كنت مقيما فيه ،

وكان قد طرد سكرتيره فعرض على هذه الوظيفة . وكنت قد أصبحت خالى الوفاض تقريبا فقبلتها خاصة وانه عرض على مرتبا كبيراً .

- وبعد ذلك ؟

- سافرنا كثيراً ، فقد اراد مستر راتشيت التنقل فى مختلف بلاد العالم ولم يكن يعرف شيئاً من اللغات الأخرى ، وقد راقت لى هذه الحياة .

- اذكر لى كل ما تعرفه عن مخدومك .

هز الشاب كتفيه فى شئ من الحيرة وقال :- انك تضعنى فى موقف عسير .

- ما أسمه بالكامل ؟

- صامويل ادوارد راتشيت .

- هل كان أمريكيا ؟

- نعم .

- من أى بلد فى أمريكا ؟

- لا أدرى .

- قل لى ما تعرفه عنه أذن

- الواقع يا مستر بوارو اننى لا أعرف عنه شيئاً على الاطلاق . لم يحدثنى مستر راتشيت أبداً عن نفسه أو عن حياته فى أمريكا .

- وهل تعرف السبب ؟

- كلا . ولكننى أظن أنه كان يخجل من ماضيه . وكثير من الناس يتملكهم مثل هذا الخجل .

- هل له أقارب ؟؟

- لم يشر أبداً الى هذا الأمر .

- لا ريب أنك كونت لنفسك رأيا خاصا عن ذلك الرجل يا مستر ماكوين ؟

- طبعا . وقبل كل شئ لا أعتقد أن راتشيت هو اسمه الحقيقى ، وأظن أنه غادر امريكا هربا من شخص ما ، ويبدو أنه أفلح فى ذلك ... حتى الأسبوعين الماضيين .

- ماذا حدث عندئذ ؟

- وصلت خطابات تهديد .

- هل قرأتها ؟

- طبعاً . فقد كان فض الرسائل من اختصاصى . وقد وصلت

أول رسالة منذ خمسة عشر يوما .

- هل أعدمت هذه الرسائل ؟

- كلا لم نعدمها كلها فمازلت احتفظ برسالتين منهما بالبريد . هل تريد أن أذهب وآتيك بها ؟

- أرجو ذلك .

خرج ماكوين من المقصورة وعاد بعد دقائق ووضع أمام بوارو ورقتين عاديتين مكتوبتين بالحبر .

وهذا نص الرسالة الأولى ، وكانت من غير توقيع :

«اذا كنت تظن أنك تستطيع الافلات منا والنجاة بجلدك فهيهات . اننا أقسمنا أن نهدر دمك وسنهدره» .

وقرأ بوارو الرسالة الثانية ، وهذا نصها :

«سننطلق معك فى نزهة وستكون لنا الكلمة الأخيرة قريبا .

قال بوارو :- أن الاسلوب واحد ولكن الخط مختلف .

حدجه ماكوين مدهوشا فقال بوارو فى لهجة ودية :- لعلك لم تلحظ ذلك يا مستر ماكوين ، ولابد من عين خبيرة لملاحظته . هذه الرسالة كتبها شخصان أو أكثر . كتب كل منهم حرفاً أو كلمة

، ثم أنها مكتوبة بحروف المطبعة ومن العسير معرفة كاتبها فى هذه الحالة .

وأمسك بوارو لحظة ثم أردف يقول :– هل تعرف أن مستر راتشيت طلب مني أن أسهر على حمايته ؟

– منك أنت ؟

وكانت دهشة ماكوين تدل دلالة واضحة على أنه لم يكن على علم بهذا الموضوع . وقال بوارو مؤكداً :

– نعم . منى أنا . كان يبدو شديد القلق . ماذا كان موقفه عند استلامه لأول رسالة ؟

– اكتفى بأن راح يضحك دون أن يفقد هدوءه الخارجى . ومع ذلك فقد أحسست بأنه كان يحاول اخفاء جزعه .

– مستر ماكوين ... هل لك أن تقول لى بصراحة رأيك فى مخدومك ؟ هل كان يروق لك ؟

لم يجب ماكوين الا بعد لحظة طويلة فقال :

– كلا .

– لماذا ؟

– لا أستطيع أن أوضح لك السبب بالضبط . كان لطيفا

ظريفا ولكن ...

وتوقف الشاب قليلا ثم استطرد :

- اذا أردت الصدق يا مستر بوارو فان هذا الرجل لم يكن يوحى الى بأية ثقة . كان يخامرنى احساس بأنه رجل قاس شديد الخطر . واعترف لك بأنه ليس هناك ما يبرر هذا الانطباع .

- أشكرك يا مستر ماكوين . آه ... ثمة سؤال آخر ... متى رأيت مستر راتشيت لآخر مرة ؟

- مساء أمس ، فى نحو الساعة العاشرة . ذهبت الى مقصورته لكى اتلقى بعض تعليماته .

- فى أى شئ ؟

- كان قد اشترى بعض التحف الاثرية من ايران ، وعند استلامها تحقق لديه أن بعضها يختلف عن المطلوب . وتسبب ذلك فى مراسلات طويلة مملة .

- اتقول أن هذه آخر مرة رأيت فيها مستر راتشيت على قيد الحياة ؟

- نعم .

- هل تعرف متى استلم مستر راتشيت آخر رسائل الهديد ؟

- كان ذلك صباح اليوم الذى غادر فيه القسطنطينية .

- وهل كنت أنت على وفاق تام مع مخدومك ؟

طرفت عينا الشاب وقال :

- هذه هى اللحظة المخيفة التى يجب أن يتملكنى فيها الفزع ... ولكن لم يقع بينى وبين راتشيت أى خلاف أبداً .

- مستر ماكوين ... هل لك أن تذكر لى أسمك وعنوانك فى أمريكا .

- أعطاه هكتور ويلارد ماكوين عنوانه الدائم فى نيويورك وقال بوارو :

- هذا كل شئ فى الوقت الحاضر يا مستر ماكوين واكون شاكراً لك اذا تكتمت نبأ موت مستر راتشيت .

- وسوف يعلم خادمه ماسترمان بالنبأ حالاً .

- بل لعله يعرف ذلك الآن واذا كان هذا قد حدث فحاول أن يجعله يمسك لسانه .

- لن يكون هذا بالأمر العسير فهو انجليزى ويحتفظ بمعلوماته لنفسه .

وعندما انصرف الأمريكى قال مستر بوك :- حسنا . هل

تصدق أقوال هذا الشاب ؟

- يبدو لى أنه شريف وصريح . لم يحاول الادعاء بأنه يحب مخدومه . ولو أن هناك ما يثقل ضميره لحاول ذلك ... ثم أن مستر راتشيت لم يخبره بأنه حاول عبثا الحصول على خدماتى .

قال مستر بوك وهو يضحك :- اذن فأنت تعتقد أن هذا الشاب برئ .

ولكن بوارو نظر اليه نظرة عتاب وقال :- اننى أرتاب فى كل شخص حتى آخر دقيقة ، ومع ذلك فأننى أقر بأننى لا أستطيع أن أرى ماكوين الكتوم والرزين يفقد رأسه ويظل يطعن مخدومه اثنتى عشرة طعنة ... أن هذا لا يتفق مع طبعه أبداً .

قال مستر بوك :- كلا . أن هذه الوحشية لا تصدر الا عن مجنون أو عن شخص لاتينى اعماه الغضب ، هذا مالم تكن القاتلة أمرأة كما يقول مفتش القطار .

الفصل السابع

الجثـــة

مضى بوارو الى العربة التالية يتبعه الدكتور قسطنطين .
وذهب الى مقصورة القتيل وقال :

- هل نقلتم شيئاً ما ؟

- لم نلمس أى شئ . بل اننى تحاشيت أن أنقل الجثة وأنا أقوم بفحصى لها .

ردد بوارو البصر حوله وقد ارتسمت على وجهه امارات الارتياح . وأثار أنتباهه قبل أى شئ آخر البرودة التى تدخل من الشباك ، وكان لا يزال مفتوحا وقال :

- أف ! ... ما هذا البرد !

ابتسم الدكتور قسطنطين وقال :- اننى آثرت أن أترك النافذة كما هى .

وفحص بوارو النافذة ثم قال :- انك على حق يا دكتور . لم يخرج أحد من هنا كما توحى النافذة بذلك . أن الثلج احبط خطط القاتل .

وأخذ علبة صغيرة من جيبه ونفخ قليلا من المسحوق الذى بها

على حافة النافذة وقال :

- ليس هناك أثر بصمات وهذا يدل على أنها أزيلت . ولو اننا وجدنا أثراً لبعض منها لما افادتنا فى شئ فانها قد تكون بصمات راتشيت نفسه أو خادمه أو المراقب . أن المجرمين فى أيامنا هذه يرتكبون مثل هذه الأخطاء الكبيرة ، ومادام الأمر كذلك فلنغلق هذه النافذة .. لكأننا فى ثلاجة .

وقرن القول بالعمل ولأول مرة حول اهتمامه الى الجثة .

كان راتشيت مستلقيا على ظهره ، وسترة بيجامته الملوثة بالدماء كانت مفتوحة .

وقال الطبيب :

- أريد أن أفحص الجروح .

انحنى بوارو فوق الجثة ثم اعتدل متفززاً وقال :- ليس هذا بالمنظر الذى يسر . لاريب أن القاتل وقف هنا وأخذ يطعنه طعنات متوالية . كم طعنة بالضبط ؟

- اننى أحصيت اثنتى عشرة طعنة ، بينها طعنة أو اثنتان لم تتجاوزا الجلد ولكن ثلاث طعنات منها كانت كافية لاحداث الموت .

شئ فى صوت الطبيب آثار حيرة بوارو بحيث راح يتأمله وهو ينظر الى الجثة عابس الأسارير . وقال آخيراً :

- هل اكتشفت شيئاً شاذا ؟

- الحقيقة اننى أرى شيئاً غريبا ... انظر الى هذين الجرحين ... أنهما عميقين والشرايين ممزقة ومع ذلك فان حواف الجرحين ليست متباعدة ثم أنهما لم ينزفا دما كما كان لابد أن يحدث .

- وما معنى هذا ؟

- ان الرجل كان قد مات منذ لحظات قبل هاتين الطعنتين ... ولكن هذا غريب .

قال بوارو فى تفكير :- الا اذا كان القاتل توهم أن فريسته لم تمت فعاد وطعنه هاتين الطعنتين امعانا فى التأكد . ولكن هذا يبدو بعيد الاحتمال . هل هناك شئ آخر ؟

- نعم . هل ترى هذا الجرح ؟ ... تحت الذراع الأيمن على مقربة من الكتف ... خذ قلمى وحاول . حاول أن تطعن طعنة مماثلة .

خفض بوارو يده على الفور وقال :- فهمت . هذا محال تقريبا باليد اليمنى ، فلابد من لوى الرسغ قبل ذلك ، ولكن هذا ممكن

باليد اليسرى ...

- تماما يا مستر بوارو .

- ان القاتل اعسر اذن ... ولكن لا ... ان هذا يعقد الأمور .

- انك على حق يا مستر بوارو :- أن بعض هذه الطعنات سددت باليد اليمنى .

قال البوليس السرى على الفور :- هناك قاتلان اذن ... هل كان النور مضاء ؟؟

- من الصعب معرفة ذلك فإن المراقب يقطع التيار فى الساعة العاشرة من صباح كل يوم .

- لنفحص المفتاح الكهربائى اذن .

وفحص مفتاح مصباح السقف ومفتاح الأباجورة التى بجوار المرقد ثم قال :- لم يكن النور مضاء . وها نحن أمام نظرية القاتل الأول والثانى كما يقول صاحبنا شكسبير . لقد طعن القاتل الأول فريسته عدة طعنات ثم غادر المقصورة بعد أن أطفأ النور . وتسلل القاتل الثانى فى الظلام ، ولم ير أن الرجل قد مات فطعن الجثة مرتين على الأقل . ما رأيك فى ذلك ؟

صاح الطبيب فى حماس :- مدهش !

- هل يمكن أن يكون هناك تعليل آخر لهذين الجرحين ؟

- اننى لفى عجب من ذلك . هل هناك قرائن أخرى تؤكد وجود قاتلين ؟

- اظن اننى استطيع أن أؤكد ذلك فإن بعض هذه الطعنات تدل على شئ من الضعف ، أما افتقارا الى القوة أو الى الارادة ، بينما هذه وهذه تطلبتا قوة بدنية .

- أمن رأيك أن رجلا بالذات هو الذى يمكن أن يسدد مثل هاتين الطعنتين ؟

- بل اننى واثق من هذا ؟

- وهل تعجز المرأة عن ذلك ؟

- قد تستطيع امرأة ذلك على شرط أن تتمتع بقوة خارقة وأن يتملكها انفعال شديد . ولكن من رأيى أن هذا مستحيل تقريبا .

لزم بوارو الصمت وتملكت الطبيب الحيرة وقال :- هل تفهم وجهة نظرى ؟

أجابه بوارو :- تماما . ان كل شئ يتضح بطريقة مدهشة ،

فالقاتل رجل قوى جداً ، وهو ضعيف جداً وهو أمرأة وهو أيمن ثم هو أعسر ... آه ! أن كل هذا مضحك جداً .

ثم استطرد وقد تملكه الغضب فجأة :- والقتيل ؟ ... ماذا فعل أثناء ذلك ؟ .. هل صرخ ؟ ... هل دافع عن نفسه ؟

ودس يده تحت الوسادة وأخرجها وبها مسدس كان راتشيت يد أراه له بالأمس . وقال :

- انه محشو الى آخره ... تحقق من ذلك يا دكتور .

وزذدا البصر حولهما . كانت ثياب راتشيت معلقة على الشماعة لصق الباب ، وعلى حوض التواليت كانت هناك بضعة أشياء مختلفة :- طاقم اسنان القتيل فى كوب من الماء وبجوار زجاجة المياه المعدنية كوب آخر فارغ ، وقنينة كبيرة ومنفضة بها بقية سيجار وبقايا أوراق محترقة وعودان من الثقاب مستعملان .

وأخذ الدكتور الكوب الفارغ وشمه ثم قال :

- هذا يفسر كل شئ .

- هل خدره ؟

- نعم .

التقط بوارو عودى الثقاب وفحصهما عن كثب وسأله الطبيب :- هل اكتشفت دليلا ما .

- ان هذين العودين يختلف أحدهما عن الأخر ، فأحدهما مسطح والآخر مستدير .

- أن العيدان المسطحة تباع فى القطار .

فتش بوارو جيوب مستر راتشيت وأفرغ منها علبة من الثقاب قارنها بالعودين المذكورين وقال :

- العود المستدير أشعله مستر راتشيت ... لنر الآن إن كان لديه عيدانا مسطحة .

ولكن تفتيشه لم يسفر عن شئ .

وراح يدور بعينيه الحادتين كعينئ الصقر فى انحاء المقصورة ولم يلبث أن أطلق صيحة خافتة . وانحنى والتقط شيئاً من فوق السجادة : قطعة مربعة من الباتستا مطرز على أحد أركانها حرف «هـ» .

قال الطبيب :- أنه منديل أمرأة . لم يخطئ مفتش القطار اذن ! .. هناك امرأة ضالعة فى هذه الجريمة .

وقال بوارو :- ومن غرائب الصدف أن تترك هذه المرأة منديلها

خلفها تماما كما يحدث فى الروايات البوليسية والأفلام السينمائية . وفوق ذلك فإن أركانه تحمل الحروف الأولى من اسم صاحبته . مما يسهل لنا مهمتنا .

- يا لها من أشارة مفيدة !

- أليس كذلك ؟

وأدهشت لهجة بوارو الطبيب ، ولكن بوارو لم يترك له الوقت لالقاء سؤال آخر فقد انحنى من جديد والتقط منظفا مما يستخدم فى تنظيف الغليون . وقال الطبيب :

- لعل هذا المنظف خاص بمستر راتشيت .

- لم أجد غليونا ولا تبغا فى جيوبه .

- هذا دليل اثبات آخر اذن .

- طبعاً . وهو يأتينا فى الوقت المناسب ، وهو فى نفس الوقت خاص برجل . لا داعى للشكوك والقول بأنه تنقصنا الأدلة الهادية فهى كثيرة على العكس ، وبهذه المناسبة اين سلاح الجريمة ؟

- لم أر أى أثر له . لا ريب أن القاتل أخذه معه .

- ولأى سبب ؟

- آه .

وفتش الطبيب جيوب البيجاما وقال :- آه ... اننى لم الحظ هذا .

وأخرج من جيب الجاكيت ساعة ذهبية أعوج غطاؤها بطريقة غريبة وتشير عقاربها الى الساعة الواحدة والربع .

- هل ترى ؟ ... اننا نعرف الآن ساعة الجريمة . أن حساباتى سليمة ، لقد قلت أن الجريمة وقعت بين منتصف الليل والساعة الثانية صباحا . وهى قد ارتكبت فعلا فى الساعة الواحدة والربع .

- جائز .. جائز جداً .

نظر الطبيب الى بوارو مشدوها وقال :- معذرة يا مستر بواو ، ولكننى لا أفهم شيئاً .

- أنا نفسى لا أفهم شيئاً فى هذه القضية ، وهذا ما يثير دهشتى .

واطلق زفرة وانحنى فوق الطاولة الصغيرة وراح يفحص الأوراق المحترقة وقال :- أن ما احتاج اليه الآن هو صندوق قبعات من الكرتون من نوع معين بالذات .

لم يعرف الدكتور قسطنطين ماذا يقول له ولكن بوارو لم يترك

له الوقت الكافى لسؤاله بل فتح باب الطرقة ونادى المراقب .

وحين أسرع الرجل اليه سأله قائلا :- كم امرأة تسافر فى هذه العربة ؟

أحصى المراقب على أصابعه قائلا :- واحدة ... اثنتان ... ثلاثة ... ست نساء يا سيدى .. المرأة الأمريكية المسنة والسويدية والإنجليزية الشابة والكونتيس أندرينى والأميرة دراجوميروف وخادمتها .

فكر بوارو لحظة ثم قال :- هل تملك كل هذه السيدات علب كرتون للقبعات ؟

- نعم يا سيدي .

- حسنا . احضر لى علبتى السويدية والخادمة . ان هاتين السيدتين هما أملنا الوحيد . قل لهما أن الأمر يتعلق باجراءات خاصة بالجمرك ... أو تذرع بأية حجة تمر برأسك .

- لا تخش شيئاً يا سيدى ، فانهما فى هذه اللحظة بالذات غير موجودتين فى مقصورتهما .

- أسرع اذن .

انصرف المراقب مسرعا ولم يلبث أن عاد ومعه علبتان للقبعات

. وفتح بوارو علبة الخادمة ولكنه لم يلبث أن أقصاها عنه ثم أخذ العلبة الثانية وما أن فتحها حتى أطلق صيحة فرح ورفع القبعات في حذر ، وعثر في أسفلها على بضع لفائف من الألواح المعدنية الرقيقة .

- آه . هذا هو ما نحتاج اليه . منذ خمسة عشر عاما كانت علبة القبعات تصنع هكذا ، وكانت القبعات تثبت بدبابيس طويلة يعلقونها على هذه الألواح المعدنية .

وأخرج وهو يتكلم لوحين من المعدن ثم أعاد الباقي والقبعات مكانها وطلب من المراقب أعادتهما من حيث جاء بها .

وعندما انصرف المراقب تحول بوارو الى الطبيب وقال :- هل تفهم الآن يا عزيزي الدكتور . أنا لست من هؤلاء الذين يعتمدون تماما على اجراءات الخبراء . انني أدرس في هذه القضية الناحية النفسية أكثر مما أدرس البصمات أو رماد السجاير ، وأقبل طواعية في هذه القضية بالذات مساعدة رجل من رجال العلم . أن الآثار كثيرة في هذه المقصورة ولكن كيف نعلم اذا لم تكن مصطنعة ؟

- انني لا أفهم .

– حسنا . سأضرب لك مثلا . اننا عثرنا على منديل امرأة ، ولكن هل فقدت امرأة هذا المنديل حقاً ؟ اذا كان القاتل رجلاً فلابد أنه قال لنفسه «سأطعن فريستى بضع طعنات بعضها قوية وبعضها ضعيفة ثم أترك هذا المنديل خلفى فى مكان ظاهر لكى يجدوه فيعتقدون أن القاتل امرأة . ولأضرب لك مثلا آخر فأقول هل ارتكبت امرأة هذه الجريمة وتركت وراءها منظف الغليون لكى نعتقد أن القاتل رجل ؟ ... أو هل نستنتج من ذلك أن شخصين ، رجلا وأمرأة ارتكب كل منهما الجريمة على حدة ونسى كل منهما شيئاً مهما يمكن أن يدل عليهما . هذا الاحتمال يبدو غير معقول .

– وما دخل علبة القبعات؟

– آه . كما قلت لك من المحتمل أن يكون توقف الساعة والمنديل ومنظف الغليون آثار حقيقية وغير مصطنعة . لا أستطيع التأكد من شئ حتى هذه اللحظة ولكننى أجد أثرا غير مصطنع اذا لم أخطئ ، وأعنى هذا العود المسطح الذى يستخدم فى حرق ورقة متورطة . ربما رسالة تكشف كلماتها عن شخصية القاتل .. سأحول أن أوضح لك ...

وغادر المقصورة وعاد بعد بضع لحظات ومعه موقد صغير يعمل بالكحول وكواة للشعر وقال :

- انني استخدم هذه المكواة فى صقل شاربى .

ورأى الطبيب وقد بدا عليه الاهتمام المخبر السرى يبسط لوحتين من المعدن الرقيق ويضع قطعة من الورق المحترق فوقها بملقاط ويضع اللوحتين فوق الموقد بعد أن أشعله . وقال :

- هذه هى القطعة الوحيدة المتبقاة ، وأرجو أن نصل الى نتيجة .

وبدأت اللوحة المعدنية تحمر وفجأة ظهرت علامات على الورقة المحترقة ... وتكونت بعض الكلمات فى حروف من نار فى بطء .

وتمكن الرجلان بهذه الطريقة من قراءة أربع كلمات من كلمة أخرى هذا نصها .

«تذكر الطفلة الصغيرة أرمسترونج» .

قال الطبيب يسأل بوارو :- هل تفهم شيئاً من هذه الكلمات ؟

تألقت عينا المخبر السرى وقال وهو يضع الملقاط :- نعم .

اننى أعرف الآن الاسم الحقيقى للقتيل والسبب الذى كان يدفعه الى عدم الاقامة فى أمريكا .

- ما أسمه ؟

- كاسيتى .

- كاستيى ... أن هذا الأسم يعيد الى ذهنى ذكرى غامضة . لا أدرى ما هى بالضباط ... الا يرتبط هذا الاسم بقضية دارت فى الولايات المتحدة ؟

أجاب بوارو :- نعم .

وردد البصر حوله وقد بدا عزوفا عن الكلام . وقال أخيراً :- سنتحدث فى ذلك فيما بعد . لنتأكد أولاً من اننا لم نترك شيئاً فى هذه المقصورة يفلت من فحصنا .

وفتش فى عناية كبيرة جيوب القتيل من جديد ولكنه لم يجد شيئاً يثير الاهتمام . وحاول أن يفتح الباب الفاصل بين المقصورتين . ولكن باب المقصورة الأخرى كان موصداً من الداخل . وقال الدكتور قسطنطين :

- هناك نقطة تثير حيرتى . اذا كان القاتل لم يهرب من النافذة ، واذا كان الباب الفاصل بين المقصورتين موصد من

الداخل ، واذا كان الباب المؤدى الى الطرقة موصداً من الداخل هو الآخر فمن أين استطاع القاتل أن يهرب ؟

- هذا ما يريد النظارة معرفته عندما يضع الحاوى رجلا موثق اليدين والقدمين فى دولاب ويختفى .

- ماذا ؟

قال بوارو :-

أقول أن القاتل اذا كان يريد أن نعتقد أنه هرب من النافذة فإنه سيتصرف بحيث يبدو أن المنفذين الآخرين يستحيل استخدامهما ، تماما كدولاب الحاوى فإن فى أسفله منفذا . وعلينا نحن أن نكتشف كيف هرب .

ودفع بمزلاج الباب الموصل بين المقصورتين ثم فسر عمله قائلا :- هذا لكى لا تفتح مسز هوبارد وتحاول أن تجمع بعض النقاط الخاصة بالجريمة لتطلع ابنتها عليها .

والقى نظرة أخيرة فى المقصورة ثم قال :- لم يعد هناك ما نفعله هنا . هلم بنا لكى ننضم الى مسيو بوك .

الفصل الثامن

اختطاف الطفلة ارمسترونج

كان مسيو بوك يفرغ من تناول طعامه . وقال عندما رآهما :- رأيت أن يقدم الطعام حالا فى عربة الطعام ، وبمجرد أن يفرغ المسافرون من تناول طعامهم يمكن رفع الموائد واخلاء العربة لكى يبدأ مستر بوارو استجواب المسافرين . وفى الانتظار أصدرت تعليماتى لكى يأتوننا بطعامنا هنا .

قال بوارو :- هذه فكرة رائعة .

ولم يكن أى من الرجال الثلاثة يشعر بجوع شديد ففرغوا من تناول طعامهم فى وقت قصير . ولم يشر مستر بوك الى القضية التى تشغلهم الا عند تناول القهوة فقال :

- حسنا ؟

- اننى اكشتفت شخصية القتيل وأعرف الذى حداه الى مغادرة أمريكا ؟

- من هو ؟

- هل سمعت عن الطفلة ارمسترونج .. أن هذا الرجل هو الذى قتل الصغيرة ديزي ارمسترونج ... انه كاسيتى ...

- اننى أتذكر الآن هذه المأساة البشعة ... ولكننى لا أذكر التفاصيل .

- كان الكولونل أرمسترونج انجليزيا حصل على وسام صليب فيكتوريا . وكان أمريكيا من ناحية أمه ، أبنة المليونير فان درهالف . تزوج ابنة لندا أرون أشهر ممثلة في ذلك الوقت وأقام فى أمريكا مع زوجته وأنجبا طفلة كانا يعبدانها عبادة . وعندما بلغت الثالثة من عمرها اختطفها بعض الاشقياء وعرضوا اعادتها مقابل مبلغ ضخم . لن أفيض وسأكتفى بأن أقول أن الأبوين دفعا فدية مقدارها مائتا ألف دولار وأن جثة الطفلة اكتشفت بعد ذلك وأثبت الفحص الطبى أن الطفلة ماتت منذ أسبوعين على الأقل ، أى قبل دفع الفدية . وقد ثار الرأى العام لذلك ولكن أسوأ ما هناك أن مسز ارمسترونج كانت تنتظر مولودا ثانيا ، وأن هذه الأحداث أثارت اضطرابها فجاء الوليد ميتا ولم تلبث أن ماتت هى نفسها . وجن جنون زوجها لفرط الألم وانتحر برصاصة من مسدسه .

قال مسيو بوك :- يا الهى! ... هذه ماساة محزنة . أننى اتذكرها الآن . ولكن الم تتسبب فى موت شخص آخر ؟

- بلى . فقد تسببت فى موت خادمة مسكينة فرنسية أو سويسرية . لا أدرى بالضبط ارتاب البوليس فى اشتراكها مع الاشقياء ولم يصدقوا انكاراتها الشديدة ودفع اليأس المسكينة الى أنها القت بنفسها من النافذة فماتت على الفور . وثبتت براءتها فيما بعد بطريقة قاطعة .

- ما أبشع هذا !

- وبعد ستة شهور ألقى البوليس القبض على كاسيتى بصفته رئيسا للعصابة التى اختطفت الطفلة ، وقد ثبت أن المجرمين استخدموا أبشع الوسائل وقتلوا الطفلة وأخفوا الجثة خوفا من أن يلقى البوليس القبض عليهم ثم استمروا فى ابتزاز كل ما استطاعوا ابتزازه من مال قبل اكتشاف الجريمة .

«وأستطيع أن أؤكد لكم أن كاسيتى هو القاتل ، ولكن بفضل ثروته الطائلة التى جمعها بالوسائل غير المشروعة وبفضل تهديده لبعض الشخصيات الكبيرة برئت ساحته على أثر غلطة فى الاجراءات القانونية ، ولولا أنه تنكر وأسرع بمغادرة أمريكا تحت اسم مستعار لقتله الجمهور ولمثل بجثته ابشع تمثيل . ومنذ ذلك الوقت وهو ينتقل فى البلاد ويعيش من ريع أمواله .

صاح بوك متفززاً :- يا للرجل القذر ! .. لن أحزن عليه أبداً .

- ولا أنا .

- ومع ذلك فلم يكن ضروريا قتله فى قطار الشرق كان فى مقدور القاتل أن يختار مكانا آخر .

ابتسم بوارو ازاء تحيز مستر بوك وقال :- وعلينا الآن أن نعرف اذا كانت الجريمة ارتكبتها عصابة أخرى منافسة غدر بها كاسيتى فى الماضى أو اذا كانت مجرد انتقام شخصى .

واطلع بوارو مستر بوك على الكلمات التى اكتشفها على قطعة الورقة المحترقة وقال :

- اذا صحت ظنونى فان هذه الرسالة قد حرقها القاتل . لماذا ؟ ... لانها تحتوى على اسم ارمستروج وفيه مفتاح السر .

- هل هناك أفراد آخرون من أسرة ارمسترونج على قيد الحياة ؟

- لا أعرف ذلك لسوء الحظ . ولكننى أتذكر اننى قرأت ذات مرة أن مسز أرمسترونج لها أخت صغرى .

وعرض بوارو عليه بعد ذلك نتيجة معاينته ومعاينة الدكتور

قسطنطين . وانبسطت أسارير مستر بوك عندما جاء ذكر الساعة التى توقفت عقاربها وقال :

- اننا نعرف الآن ساعة ارتكاب الجريمة .

قال بوارو بلهجة غريبة أثارت دهشة الرجلين :- نعم . هذه معلومات ثمينة

وسأله مستر بوك :- الم تقل لى أنك سمعت راتشيت يتحدث مع المراقب فى الساعة الواحدة الا الثلث ؟

ذكر له بوارو أحداث الليل بالدقة فعاد مستر بوك يقول : حسنا . يبدو أن كل شئ يثبت أن كاسيتى أو راتشيت ، كما سأظل ادعوه كان لا يزال على قيد الحياة فى الساعة الواحدة الا الثلث .

قال بوارو :- بل فى الساعة الواحدة الا ثلاث وعشرين دقيقة بالضبط .

وبمعنى آخر كان راتشيت على قيد الحياة بعد منتصف الليل بسبع وثلاثين دقيقة . هذه حقيقة لا يمكن رفضها .

وطرق الباب فى هذه اللحظة ودخل المراقب قائلاً :- عربة الطعام أخليت يا سيدى .

قال مستر بوك وهو ينهض :- هلموا بنا .

وسأله قسطنطين :- هل استطيع مرافقتكما ؟

- طبعا يا عزيزى الدكتور الا اذا كان لدى مستر بوارو أى مانع .

- أبداً .

القسم الثانى

التحقيق

الفصل الأول

اقوال موظف السكة الحديدية

كان كل شئ معدا فى مركبة الطعام لاستقبال السادة المسافرين . وجلس مستر بوارو ومستر بوك الى أحدى الموائد كل منهما بجوار الآخر وجلس الطبيب أمامهما وبسط بوارو أمامه خريطة تفصيلية لعربة القسطنطينية - كالية وأسماء المسافرين مكتوب عليها بالحبر الأحمر وبجوارها جوازات المسافرين وتذاكرهم ، وبجوار كل هذا كل ما يحتاجون اليه من ورق وحبر وأقلام الرصاص . وقال بوارو :

- حسنا . لنبدأ التحقيق أذن ، ولنستدعى مراقب عربة النوم قبل أى شخص آخر . لاريب انك تعرف هذا الرجل ؟ ... هل يمكن أن نعتمد عليه .

- طبعا . أن بيير ميشيل يعمل بالشركة منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، وهو فرنسى يقيم على مقربة من كالية ولعله لا يتمتع بالذكاء ولكنه رجل شريف .

قال بوارو :- حسنا . أصدر أمرك باستدعائه .

وعلى الرغم من أن بيير ميشيل كان قد استرد جزءاً من جاشه الا أنه كان لا يزال متأثراً من هول الاكتشاف وقال وهو ينقل عينيه بين مستر بوارو ومستر بوك :

- أرجو أن لا يكون هناك ما الام عليه . أن ما حدث فظيع غير أنني لست مسئولاً عنه .

هدأ بوارو من مخاوف الشاب وبدأ باستجوابه فسأله أولاً عن اسمه وعنوانه ومنذ متى يعمل بعربة أسطمبول - كاليه . وكان بوارو يعرف كل هذه المعلومات ولكن هذه الأسئلة الصورية سمحت للشاب أن يتمالك روعه ويسترد هدوءه .

- لننتقل الآن الى أحداث الليلة . فى أية ساعة أوى مستر راتشيت الى فراشه ؟

- بعد أن فرغ من العشاء مباشرة ، أى قبل أن يغادر القطار محطة بلغراد . وقد طلب مني أن أعد له فراشه أثناء العشاء كما فعلت فى الليلة الماضية .

- هل دخل أحد بعد ذلك الى مقصورته ؟

- خادمه وسكرتيرة .

- ألم يدخل أحد آخر ؟

- كلا ، على ما أعلم .

- حسنا . أهذه آخر مرة رأيته أو سمعته فيها ؟

- كلا يا سيدى . أتك تنسى أنه دق الجرس فى الساعة الواحدة الا الثلث .. بعد أن توقف القطار بقليل .

- ماذا حدث بالضبط .

- طرقت بابه ولكنه رد على بأنه دق الجرس خطأ .

- هل رد عليك بالانجليزية أو بالفرنسية ؟

- بالفرنسية .

- ماذا قال بالضبط ؟

- ليس هناك شئ ... اننى اخطأت .

قال بوارو :- هذه هى الكلمات التى سمعتها أنا بالذات . هل انصرفت بعد ذلك ؟

- نعم يا سيدى .

- هل عدت وجلست فى متعدك ؟

- كلا يا سيدى .. رددت أولاً على مسافر آخر دق الجرس .

- حسنا يا ميشيل . سألقى عليك الآن سؤالا هاما . أين

كنت في الساعة الواحدة والربع ؟

- أنا يا سيدى ؟ ... كنت فى مكانى ، فى آخر الممر .

- هل تؤكد ذلك ؟

- نعم ... ذلك الا ...

- الا ...

- الواقع اننى ذهبت الى العربة الأخرى ، عربة اثينا لكى أرى زميلى فينيه . وقد تحدثنا عن الثلج . وكان ذلك بعد الواحدة بقليل وأن كنت لا أستطيع التحديد .

- وعندما عدت ؟

- دق الجرس من جديد . وأظن أنني قلت لك ذلك . كانت السيدة الأمريكية ، وقد دقت الجرس مراراً .

- نعم . اتذكر ذلك . وبعد ؟

- بعد ذلك يا سيدى ؟ .. استدعيتنى أنت يا سيدى وطلبت منى زجاجة من المياه المعدنية ، وبعد ذلك بنحو نصف ساعة أعددت فراش الشاب الأمريكى ... سكرتير مستر راتشيت .

- هل كان مستر ماكوين بمفرده عندما دخلت مقصورته لإعداد فراشه ؟

- كان الكلونيل الانجليزى الذى يشغل المقصورة رقم ١٥ جالسا معه . وكانا يتحدثان معا .

- وماذا فعل الكولونل بعد أن غادر مقصورة مستر ماكوين ؟

- عاد الى مقصورته .

- المقصورة رقم ١٥ ؟ .. أنها بجوار متعدك ، أليس كذلك ؟

- نعم يا سيدى . أنها ثاني مقصورة ابتداء من آخر الممر .

- هل كان فراشه معداً ؟

- نعم يا سيدى ، فقد أعددته أثناء العشاء .

- ومتى عاد الى مقصورته ؟

- لا أستطيع التحديد ... ولكن قبل الساعة الثانية بكل تأكيد .

- وبعد ذلك ؟

- بقيت جالسا فى مكانى حتى الصباح .

الم تعد الى عربة أثينا ؟

- كلا يا سيدى .

- الم يغلبك النوم ؟

– كلا يا سيدى . أن عدم حركة القطار منعنى عن النعاس كما يحدث هذا غالبا .

– ألم تر أى مسافر يمشى فى الممر ؟

فكر الموظف لحظة ثم قال :– ذهبت احدى السيدات الى دورة المياه الكائنة فى آخر الممر .

– ومن هى ؟

– لا أدرى بالضبط يا سيدى . كانت فى آخر الممر ، وكانت تولينى ظهرها . كانت ترتدي منامة حمراء اللون مرسوم عليها أشكال تنين .

– هذا صحيح . وبعد ذلك ؟

– لم يحدث شئ آخر يا سيدى حتى الصباح .

– هل أنت واثق ؟

– نعم يا سيدى . آه ... معذرة . أنك فتحت بابك يا سيدى والقيت نظرة سريعة الى الخارج .

– حسنا يا صديقى . كنت أتساءل اذا كنت تتذكر هذه النقطة . وبهذا المناسبة صحوت من نومى على صوت خيل لى كأن شيئاً ثقيلا سقط على باب غرفتى ، فهل يمكنك أن تخبرنى عن مصدر

هذا الصوت ؟

حدق الرجل فيه وقال :- لم يكن هناك أى شئ يا سيدى .

قال بوارو فى غير اكتراث :- لا ريب اننى كنت ضحية كابوس اذن .

وقال مستر بوك :- ذلك اذا لم يكن ذلك الصوت قد صدر فى المقصورة التى بجوارك .

ولم يعلق بوارو على هذا الرأى ، ولعله آثر أن يتجنب الحديث فيه أمام المراقب .

- لننتقل الآن الى نقطة أخرى . لنفترض أن قاتلا صعد الى القطار فهل يمكنه أن يهرب بعد أن يرتكب جريمته ؟

هز بيير ميشل رأسه علامة على النفى فعاد بوارو يقول :- هل أمكنه أن يختفى فى مكان ما ؟

قال مستر بوك :- دعك من هذه الفكرة يا صديقى العزيز فقد فتشنا كل مكان .

وأردف الموظف يقول :- ثم لا يمكن لأحد أن يدخل عربة النوم أو يخرج منها من غير أن أراه .

- وماهى آخر محطة ؟ توقف بها القطار ؟

- فنكونكى

- وكم كانت الساعة ؟

- كان يجب أن يغادر القطار تلك المحطة فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثامنة والخمسين .

ولكننا تأخرنا نحو عشرين دقيقة بسبب سوء الأحوال الجوية .

- هل كان باستطاعة احد القدوم من أحدى العربات الأخرى ؟

كلا يا سيدى . أن الباب الفاصل بين عربات النوم والعربات الأخرى يقفل بالمفتاح بعد العشاء مباشرة .

- هل هبطت من القطار فى فنكوكى يا ميشيل ؟

- نعم يا سيدى . نزلت الى الرصيف كعادتى فى كل محطة ووقفت بجوار الباب . وفعل المراقبون الآخرون مثلى .

- والباب الأمامى ... بجوار عربة الطعام ؟

- انه مغلق من الداخل باستمرار .

- ولكنه ليس مغلقا فى هذه اللحظة بالذات .

بدأ المراقب مشدوها ولكن لم يلبث أن انبسطت أساريره وقال :- لا ريب أن أحد المسافرين فتحه ليلقى نظرة على الثلج .

قال بوارو :- لا ريب فى ذلك

ونقر المخبر السرى بأصبعه على المائدة فى تفكير .

وسأله المراقب فى قلق :- هل هناك ما تلومنى عليه يا سيدى ؟

ابتسم بوارو فى رفق وقال :- ان الحظ لم يحالفك يا صاحبى . آه . أننى تذكرت شيئاً . قلت لى أن مسافراً آخر دق الجرس فى نفس اللحظة التى طرقت فيها باب مستر راتشيت ، وأنا أيضاً سمعت ذلك فمن هو ؟

- هى الأميرة دارجوميروف . كانت تريد خادمتها

- وهل استدعيتها لها ؟

- نعم يا سيدى .

فحص بوارو الخريطة المبسوطة أمامه وقال للمراقب :- هذا يكفى الآن .

- حسن يا سيدى .

ونظر المراقب الى مستر بوك فقال هذا الاخير :- لا تجزع يا ميشيل انك لم تقصر فى شئ .

- وغادر بيير ميشيل غرفة الطعام وهو يتنهد فى ارتياح .

الفصل الثانى

اقـوال السكرتيـر

بقى بوارو غارقا فى افكاره دقيقة أ و دقيقتين ثم قال أخرياً :- من الأوفق أن نرى مستر ماكوين الآن .

وأقبل هذا الأخير وقال :- حسنا ... كيف يدور التحقيق ؟

- لا بأس . بعد حديثنا الآخير عرفت شخصية مستر راتشيت الحقيقية .

- آه !

- كان اسم راتشيت اسما مستعاراً كما كنت تظن ... راتشيت ، كاسيتى سابقا ... لص الأطفال الشهير ... المتهم باختطاف الطفلة ديزى ارمسترونج .

بدت الدهشة الشديدة على وجه ماكوين وصاح :-

يا للنذل !

- ألم تشك فى ذلك يا مستر ماكوين ؟

- كلا يا سيدى . لو أننى عرفت ذاك لقطعت يدى اليمنى بدلاً من أن أشتغل مع ذلك الرجل .

- يبدو أنك تأثرت بهذا الاكتشاف .

أن والدى أسبانى . كان أبى بصفته وكيلا للنيابة هو الذى قام بالتحقيق فى هذه القضية ، وقد حدث أن رأيت مسز أرمسترونج أكثر من مرة ... كانت أمرأة جميلة وديعة الطبع . وكان حزنها مؤثراً جداً . آه ... لو أن هناك رجلا استحق أن يقتل فهو راتشيت .. كاسيتى . أن هذا الرجل لم يكن يستحق أن يعيش .

- وهل كنت تقتله أنت نفسك دون واخز من ضمير ؟

- اذا أردت الحق فنعم .

وأمسك وقد اضطرم وجهه وقال :- يبدو اننى الصق التهمة بى .

- اننى كنت جديراً بأن اشتبه فيك لو أن موت مخدومك أثار حزنك بطريقة مفرطة .

- ما كنت لأشعر بأى ندم لو قتلته .

ثم أردف :- هل استطيع أن اتطفل وأسألك كيف اكتشفت شخصية كاسيتى ؟

- من جزء من رسالة وجدتها فى مقصورته .

- ومع ذلك .. اعنى أن القاتل ليس غبيا لكى يترك خلفه

رسالة كهذه .

- لم تكن له حيلة فى ذلك . أن واجبى يحتم على أن أتأكد من حركات جميع المسافرين بهذا القطار وأرجو أن لا تجد غضاضة فى ذلك .

- ما عليك . تكلم وأعطني الفرصة للدفاع عن نفسى .

قال بوارو وهو يبتسم :- لا داعى لأن أسألك عن رقم مقصورتك فأننى أعرفه لأننى قضيت ليلة معك . أنها المقصورة ١٦ ، وأنت تقيم فيها الآن وحدك .

- هذا صحيح .

- مستر ماكوين ، هل لك أن تقول لى ماذا فعلت في اللية الماضية بعد أن غادرت عربة الطعام ؟

- هذا أمر بسيط . عدت الى مقصورتى وقرأت قليلا وهبطت الى رصيف بلغراد . ولكننى وجدت الطقس شديد البرودة فصعدت الى القطار على الفور وتبادلت الحديث لحظة مع فتاة انجليزية تشغل المقصورة التى بجوارى . ثم تبادلت الحديث بعد ذلك مع الكولونيل أرتبنوت . وكنت أتحدث معه عندما صعدت أنت ثم ذهبت كما قلت لك الى مستر راتشيت الذى أملى على

بعض الملاحظات . وتركته متمنيا له ليلة طيبة . وكان الكولونيل أرتبنوت لا يزال واقفا بالممر وكان المراقب يقوم باعداد فراشه فعرضت عليه أن يأتى ويجلس معى . وطلبت كأسين من الجعة وأخذنا نتحدث فى السياسة . اننى اتحاشى الارتباط بالانجليز فإن برودهم يضايقنى ولكن الكولونل أرتبنوت راق لى .

- هل يمكنك أن تقول لى فى أية ساعة غادرك ؟

- فى وقت متأخر جداً ... حوالى الساعة الثانية .

- هل لاحظت توقف القطار ؟

- طبعا . وقد أثار ذلك دهشتنا . وقد القينا نظرة الى الخارج ورأينا الثلج ولكننا لم نتوقع ما حدث .

- وماذا حدث عندما أنصرف الكولونل أرتبنوت من مقصورتك ؟

- مضى الى مقصورته واستدعيت المراقب ليعد لى فراشى .

- وأين ذهبت وهو يقوم بذلك ؟

- وقفت بالممر ودخنت سيجارة .

- وبعد ذلك ؟

- أويت الى فراشى ونمت حتى الصباح .

- هل هبطت من القطار فى أية لحظة من الليل ؟

- هبطت أنا وأرتبنوت فى تلك المحطة المعروفة باسم فنكوفكي لنمشي قليلا ، ولكن الطقس كان باردا جداً فصعدنا على الفور تقريبا .

- من أى باب هبطتما الى الرصيف ؟

- من الباب القريب من مقصورتى .

- هل تعنى الباب القريب من عربة الطعام ؟

- نعم .

- هل تذكر اذا كان موصداً بالمزلاج ؟

فكر ماكوين لحظة قبل أن يجيب ويقول :- نعم . كان ذلك .

- هل أعدت المزلاج بعد عودتك الى القطار ؟

- كلا . صعدت بعد الكولونل ولا أذكر اننى أعدت المزلاج مكانه .

- هل تستطيع أن تقول لى اذا كنت قد رأيت أحداً يمر بالممر منذ انطلاق القطار من فنكونكى حتى اللحظة التى افترقتما فيها للنوم .

قطب ماكوين جبينه وقال :- يبدو لى أن المراقب فات مرة قادما من ناحية عربة الطعام . واجتازت سيدة الممر من الناحية الأخرى .

ومن كانت هذه السيدة ؟

- لا أدرى . لم أهتم بها فقد كنا منهمكين فى الحديث ولم أر غير وميض من الحرير الأحمر يمر أمام الباب .

لعلها كانت ذاهبة الى دورة المياه ؟

- أظن ذلك .

- هل رأيتها تعود ؟

- لابد أنها عادت ولكننى لم الحظ ذلك .

سؤال أخير . هل تدخن الغليون يا مستر ماكوين ؟

- كلا يا سيدى .

أمسك بوارو لحظة ثم قال :- هذا كل شئ .

أريد الآن أن أرى خادم مستر راتشيت . وبهذه المناسبة هل من العادة أن تسافرا معاً فى الدرجة الثانية ؟

- كلا . من عادة الخادم السفر دائماً فى الدرجة الثانية ، أما أنا فأسافر عادة فى الدرجة الأولى على أن تكون غرفتى متصلة

دائماً بغرفة مستر راتشيت . وكان يضع أكبر جزء من حقائبه فى غرفتى ويأتينى فيها عندما يحلو له ذلك . ولكن كل الأماكن بالدرجة الأولى كانت محجوزة هذه المرة فيما عدا مقصورته .

- فهمت . شكراً لك يا مستر ماكوين .

الفصل الثالث

أقوال الخادم

اقبل بعد ماكوين الانجليزى ذو الوجه الجامد التعبير الذى رآه بوارو بالأمس وبقى واقفا فأشار له المخبر السرى أن يجلس وقال :

– قيل لى أنك خادم مستر راتشيت ، فما اسمك ؟

– ادوارد هنرى ماسترمان .

– وعمرك ؟

– تسعة وثلاثون عاماً .

– وأين تقيم ؟

– ٢١ شارع نوبار بشركنويل .

– هل تعلم أن سيدك قتل ؟

– نعم يا سيدى ... وأنها لجريمة بشعة .

– متى رأيته لآخر مرة ؟

– كان ذلك فى نحو الساعة التاسعة مساء أمس يا سيدى .

– اذكر لى ما حدث فى ذلك الوقت .

– ذهبت اليه كعادتى لاعنى بخدمته .

- ماذا فعلت بالضبط .

- طويت ثيابه وعلقتها ووضعت طاقم أسنانه فى الماء وحرصت على أن لا ينقصه شئ أثناء الليل .

- ألم تلحظ شيئاً غير عادى فى تصرفاته ؟

- أظن أنه كان هناك ما يشغله يا سيدى .

- ما يشغله ؟ ... بخصوص أى شئ ؟ .

- بخصوص رسالة كان قد فرغ من قراءتها وقد سألنى اذا كنت أنا التى وضعتها فى مقصورته فأجبته بالنفى فراح يصب على جام غضبه وينتقد كل ما أفعله .

- هل كان يتصرف هكذا فى العادة ؟

- اوه ، كلا يا سيدى . كان نادراً ما يغضب كان لابد من سبب خطير لكى يخرج عن طوره هكذا .

- هل كان يتناول بعض المنومات ؟

- كان يتناولها دائماً أثناء السفر ، لأنه لم يكن يستطيع النوم الا بها .

- هل تعرف أى نـوع من الدواء كان معتاداً على تناوله .

- لا أستطيع القول يا سيدى . لم يكن على الزجاجة الا

بطاقة عليها هذه الكلمات : «منوم يؤخذ عند النوم» .

- وهل تناول من هذه الأقراص أمس ؟

- نعم يا سيدى . أذبت قرصا فى كوب من الماء وضعته على المنضدة بجواره .

- ألم يشربها أمامك ؟

- كلا يا سيدى .

- وماذا حدث بعد ذلك ؟

- سألته اذا كان يريد شيئاً آخر وفى أية ساعة يريد أن يستيقظ فى صباح الغد فأجابنى بأن لا أزعجه قبل أن يدق الجرس .

- هل كان معتاداً على ذلك ؟

- نعم يا سيدى . كان يدق الجرس فى الصباح عادة ويطلب من المراقب أن يدعونى عندما يريد النهوض .

- هل كان يصحو مبكراً .

- كان ذلك يرجع الى مزاجه . كان ينهض أحيانا لتناول طعام الافطار . ويبقى أحيانا حتى ساعة الغذاء .

- ألم يدهشك أن تمضى الصبيحة دون أن يستدعيك .

- كلا يا سيدى .

- هل كان له أعداء ؟

أجاب الرجل فى صوت هادئ :- نعم يا سيدى .

- وكيف عرفت ذلك ؟

- سمعته يتكلم عن بعض الرسائل بالذات مع مستر ماكوين .

- هل كنت تحب سيدك يا مستر ماسترمان ؟

أجاب الخادم فى هدوء وبدون انفعال :- أن سؤالك يحرجنى يا سيدى . كان مستر راتشيت سيدا سخيا جداً .

- ولكنك لا تشعر نحو بأى ود ؟

- أعرف يا سيدى بأننى لا أشعر بأى ميل نحو الأمريكيين .

- هل كنت فى أمريكا ؟

- كلا يا سيدى .

- ألا تذكر اذا كنت قرأت شيئاً عن ابنة ارمسترونج ؟

اضطرم وجه ماسترمان لأول مرة وقال :- طبعاً يا سيدي . هى طفلة صغيرة اختطفها بعض الاشقياء ، أليس كذلك ؟

- هل كنت تعلم أن سيدك مستر راتشيت هو زعيم هؤلاء

الأشقياء ؟

- كلا يا سيدى . هل هذا ممكن ؟ ... لا أستطيع أن أصدق ذلك .

ولأول مرة نم صوت الخادم عن شئ من الانفعال وقال بوارو :

- انها الحقيقة مع ذلك . قل لى الآن ماذا فعلت بعد أن غادرت مقصورة سيدك .

- أخطرت مستر ماكوين أن سيدى يريده ثم ذهبت الى مقصورتى لكى أقرأ .

- وأين هذه المقصورة ؟

- الأخيرة بالدرجة الثانية بجوار عربة الطعام .

- هل يقيم معك أحد فى هذه المقصورة ؟

- نعم يا سيدى ... رجل ايطالى .

- هل يتكلم الأنجليزية ؟

أجاب ماسترمان فى ازدراء :- أن انجليزيته غريبة .. أنه أقام فى أمريكا ... فى شيكاغو على ما سمعت .

- هل كنتما تتبادلان الحديث ؟

- كلا يا سيدى . اننى أفضل القراءة .

– هل أستطيع أن أعرف ماذا كنت تقرأ ؟

– اننى اقرأ فى الوقت الحاضر رواية «أسير الغرام» تأليف مدام أرابلا ريتشارد سون .

– حسنا . تقول أنك عدت الى مقصورتك لكى تقرأ ... الى متى ؟

– حتى الساعة العاشرة والنصف يا سيدى ، فقد أراد الايطالى أن ينام وأقبل المراقب لكى يعد الفراش .

– فنمت أنت عندئذ ؟

– أستلقيت فوق الفراش ولكننى لم أنم .

– لماذا ؟

– كنت أعانى من ألم فى أسنانى .

– وماذا فعلت عندئذ ؟

– وضعت على سنتى قليلاً من زيت القرنفل فشعرت بالارتياح ولكننى لم أستطع أن أطبق عينى ، فأضأت مصباح المرقد وتمددت من جديد .. فى محاولة لنسيان الملل .

– ألم تنم طوال الليل ؟

– بلى يا سيدى . غلبنى النوم فى نحو الساعة الرابعة

صباحا .

– وزميلك ؟

– الايطالى ؟ ... او ، انه راح يغط فى النوم على الفور .

– ألم يغادر المقصورة أثناء الليل ؟

– كلا يا سيدى

– وأنت ؟

– ولا أنا يا سيدى .

– هل سمعت شيئاً أثناء الليل ؟

– لم أسمع شيئاً غريبا . وكان القطار واقفا . كان كل شئ هادئا .

وبعد لحظة تفكير قال بوارو :– ألا تعرف اذا كان قد وقع أى شقاق بين سيدك ومستر ماكوين ؟

– كلا يا سيدى . أن مستر ماكوين رجل مهذب .

– أين كنت تعمل قبل أن تلتحق بخدمة مستر راتشيت ؟

– كنت أعمل عند سير توماس توملنسون بميدان جروسفينور .

– ولماذا تركت خدمته .

- لأنه هاجر الى أفريقيا ولم يعد بحاجة الى .

ولكننى واثق انه سيذكرنى بالخير فقد بقيت فى خدمته عدة سنوات .

- ومنذ متى وأنت تعمل فى خدمة مستر راتشيت ؟

- منذ أكثر من تسعة شهور يا سيدى .

- شكراً يا مستر ماسترمان قل لى هل تدخن الغليون ؟

- كلا يا سيدى . انني لا أدخن الا السجاير .

- أشكرك . هذا كل ما أريد .

وصرفه بوارو باشارة من يده وبدأ التردد على الخادم ولكنه قال أخيراً :- أرجو المعذرة يا سيدى . ولكن السيدة الامريكية المسنة تعانى من انفعال شديد وهى تزعم أنها تعرف ما حدث الليلة .

قال بوارو :- مادام الأمر كذلك فسأراها على الفور .

الفصل الرابع

اقوال السيدة الأمريكية

ما أن دخلت مسز هوبارد غرفة الطعام حتى قالت فى انفعال شديد :- من منكم يمثل رجال الأمن ؟ ... أريد أن أدلى بأقوال هامة ولكننى لن أتكلم الا أمام مسئول ... اذا كنتم ...

ونظرت الى الرجال الثلاثة مترددة فانحنى بوارو الى الأمام وقال :- قولى لى ما لديك يا سيدتى ... ولكن تفضلى بالجلوس أولاً .

تهالكت مسز هوبارد فوق المقعد المقابل لبوارو وقالت :- لقد ارتكبت جريمة قتل فى القطار أمس ... وكان القاتل مختبئاً فى مقصورتى .

وتوقفت وقفة مأساوية فقال بوارو :- هل أنت واثقة من ذلك يا سيدتى .

- هل أنا واثقة ؟ ... ماذا تقول ؟ ... اننى أعرف ما أقول . ستعرف كل التفاصيل .. كنت قد أويت الى فراشى ورحت فى النوم عندما استيقظت فجأة ، وكان الظلام يسود المقصورة

وتسمرت فى مكانى وقلت فى نفسى «يا الهى ! سيقتلنى هذا الرجل» . ولا يمكن أن أصف لك مدى ما تملكنى من فزع فان مآسى كثيرة تقع فى القطارات وقلت لنفسى . أنه لن يستولى على مجوهراتى على كل حال» والواقع اننى كنت قد وضعتها فى جورب قديم دسسته تحت وسادتى ، وهو أمر غير مريح .. ولكن أين كنت فى حديثى ؟

- كنت تظنين أن هناك رجلا مختبئا فى مقصورتك .

- آه ، نعم . أغمضت عينى عندئذ وفكرت فيما يجب أن أفعل ، ولحسن الحظ أن ابنتى لا تشك فيما يحدث لى ولم البث أن تمالكت نفسى وضغطت على الجرس ولكن لم يرد على أحد . وبدأت أتصور أن المجرمين قتلوا كل من فى القطار الذى توقف عن السير . وظللت اضغط على الجرس ، وما كان أشد ارتياحى عندما سمعت خطوات فى الخارج ، وقرع أحدهم باب مقصورتى فصحت أقول ادخل . وأضاءت النور ولكن صدقنى اذا شئت . كان الرجل قد اختفى . وأخبرت المراقب بما حدث ولكنه لم يصدقنى ، ولا ريب أنه تصور أننى كنت أحلم . وطلبت منه أن يفتش تحت الفراش ولكنه قال لى أنه معد بحيث لا يمكن لأحد أن يختبئ

تحته . كان القاتل قد أنصرف طبعا ، ومع ذلك فقد جاء أحدهم الى مقصورتى ، والكلمات التى نطق بها المراقب لادخال الطمأنينة الى قلبى جعلتنى أجن ، فأنا لست من هاته النسوة التى تتوهم أشياء لا وجود لها يا مستر ... ولكننى لا أعرف اسمك .

– اسمى بوارو يا سيدتى ... وأقدم لك مسيو بوك مدير الشركة الدولية لعربات النوم والدكتور قسطنطين .

واستطردت مسز هوبارد تقول : ومع ذلك فيجب أن أقول لك أننى أخطأت فقد توهمت أن الرجل الذى كان فى مقصورتى هو الذى يشغل المقصورة التى بجوارى ... أعنى القتيل المسكين ، ورجوت المراقب أن يتحقق من الباب الفاصل ، وطبعاً لم يكن المزلاج موضوعا فأغلقه المراقب وانصرف . ونهضت عندئذ ودعمت الباب بحقيبة كبيرة زيادة فى الأمان .

– كم كانت الساعة يا سيدتى ؟

– لا أدرى . كنت شديدة الاضطراب فلم أهتم بذلك .

– وما رأيك الآن ؟

– أن الرجل الذى دخل مقصورتى هو القاتل ... هذا واضح تماما .

- اذن فأنت تعتقدين أنه كان ذاهبا الى المقصورة المجاورة .

- لا أعلم ، فقد اطبقت عينى من الخوف .

- ألا يمكن أن يكون قد عرج الى الممر .

- وكيف أعلم . أقول لك أننى أغمضت عينى .

وأطلقت مسز هوبارد تنهيدة عميقة وقالت :-

- شد ما تملكنى الخوف . لو عرفت ابنتى ...

- الا تظنين يا سيدتى أن الصوت الذى سمعته صدر من الناحية الأخرى من الباب ... أعنى من المقصورة التى أرتكبت فيها الجريمة .

- كلا ، كلا يا سيدى ... آه يا مستر بوارو .. أن الرجل كان موجوداً فى مقصورتى ... واليك الدليل مع ذلك .

وفتحت حقيبتها وأفرغت مافيها فأخرجت منديلين ونظارة وأنبوبة بها أقراص أسبيرين بها وقنينة بها أملاح ومقصا ودفتر شيكات وصورة طفل وبضع رسائل وبعض المجوهرات الشرقية الزائفة وأخيراً شيئاً آخر ... زراً معدنيا وقالت :

هل ترى هذا الزر ؟ أنه لا يخصنى وقد وجدته صباح اليوم حين غادرت الفراش ...

ووضعت الزر على المائدة ، وانحنى مستر بوك ولكنه أطلق صيحة وقال :

- ولكن هذا الزر خاص بسترة أحد مراقبى عربات الطعام .

قال بوارو :

من الممكن أن نجد تفسيراً طبيعيا لوجوده فى المقصورة وتحول الى الأمريكية وقال :

- ربما انفصل هذا الزر من سترة المراقب حين كان يفتش مقصورتك أو عندما كان يعد فراشك مساء أمس .

- كلا ، كلا . أصغ الى . كنت أقرأ مجلة مساء أمس قبل أن أنام ، وقبل أن اطفئ النور مباشرة وضعت المجلة فوق حقيبة صغيرة بجوار الباب . وقد وجدت هذا الزر فوق المجلة صباح اليوم ، فما رأيك فى هذا ؟

قال بوارو :

أنك أدليت لنا بشهادة على جانب كبير من الأهمية ، ولكن كيف تفسرين أنك عل الرغم من خوفك من مستر راتشيت لم تفكرى فى غلق الباب الفاصل بينكما بالمزلاج .

أسرعت مسز هوبارد تقول :

– ولكننى كنت قد أغلقته .

– آه ... حقا ؟

– نعم . أو بالأخرى طلبت من السويدية ، وهى امرأة ظريفة ، أن تتحقق مني أن الباب مغلق بالمزلاج ، وقد أجابتنى بالايجاب .

– أما كنت تستطيعين التحقق من ذلك بنفسك .

– كلا . فقد كنت فى فراشي ، وكانت الحقيبة التى أضع فيها اسفنج الاستحمام معلقة على الباب وتخفى مكان المزلاج .

– وكم كانت الساعة عندما طلبت منها هذه الخدمة البسيطة ؟

– انتظر .. كانت بين العاشرة والنصف والحادية عشرة الا الربع . كانت قد دخلت تسألنى أن كانت لدى بعض أقراص الأسبرين . وقد قلت لها أن تأخذ ما تريد من أنبوبتى .

– هل كنت ترقدين فى فراشك فى ذلك الوقت ؟

– نعم .

وفجأة انفجرت مسز هوبارد ضاحكة وقالت :

يا للمرأة المسكينة . كانت فى حالة يرثى لها ... تصور أنها فتحت باب المقصورة الأخرى خطأ .

- باب مستر راتشيت ؟

- نعم . ولاشك أنك تعرف أن من السهل أن يخطئ المرء عندما تكون جميع الأبواب فى الممر مغلقة . ويبدو أن السيد قد غضب ونطق ببضع كلمات نابية . كانت المسكينة منزعجة جداً بسبب هذا الخطأ .

سالها بوارو :

- ألم تسمعى بعد ذلك حركة فى مقصورة مستر راتشيت ؟

- لاشئ أكثر من انه كان يغط فى نومه ، وقد أيقظنى غطيطه طوال الليل تقريبا .

- ألم يغط بعد ذلك ؟ ... أعنى بعد أن دخل ذلك الرجل مقصورتك وتسبب فى خوفك ؟

-ولكن كيف يغط فى نومه يا مستر بوارو ... مادام قد مات ؟

قال بوارو :

- هذا صحيح . قولى لى يا مسز هوبارد ... هل تتذكرين اختطاف الطفلة أرمسترونج ؟

- طبعاً ، ومازال المجرم طليقا ... آه ، لو أمسكته بين

يدى ! ...

- حسنا يا سيدتي ... أنه مات ، الليلة الماضية

- كيف ؟ ... ايمكن أن يكون قد حدث هذا حقا ؟ وفى ثورة انفعالها نهضت من مقعدها نصف نهضة وقال بوارّو :

- تماما . كان راتشيت زعيم العصابة .

- من كان يظن ذلك ؟ سأكتب هذا لابنتى على الفور . الم أقل لك بالأمس اننى خائفة من ذلك الرجل ؟ ألم أكن على حق فى ارتيابى منه .

- هل تعرفين أسرة ارمسترونج يا سيدتى ؟

- كلا ، فقد كان هؤلاء الناس يعيشون فى حلقة ضيقة من الأصدقاء ، ولكننى سمعت أن مسز أرمسترونج كانت أمرأة ظريفة ، وكان زوجها يعبدها ... اننى لا أستطيع أن أصدق اذنى ... كاسيتى فى هذا القطار ... ان سحنة ذلك الرجل كانت تثير الخوف .

- هذا صحيح يا سيدتى ، وبهذه المناسبة ، الديك منامة حمراء اللون ؟

- ما هذا السؤال الغريب ... كلا .

- انما أسألك هذا يا سيدتي لأن سيدة ترتدى منامة حمراء شوهدت مساء أمس وهى تدخل أما فى مقصورتك أو فى مقصورة مستر راتشيت . وكما قلت منذ لحظة فإن المرء يخطئ بسهولة عندما تكون كل الابواب مغلقة .

- لم تدخل أية سيدة ترتدى منامة حمراء مقصورتى أمس .

- لابد أنها دخلت مقصورة مستر راتشيت اذن ... هل سمعت صوت امرأة فى المقصورة المجاورة ؟

- كيف خمنت ذلك ؟ ... مهما يكن ، واذا كنت تريد أن تعرف كل شئ فنعم ... سمعت صوت امرأة .

- ومع ذلك فانك منذ لحظة ، عندما سألتك فى هذه الناحيـة قلـت لـى أنـك لـم تسمعـى غير غطيـط مـستر راتشيت .

- أننى لم أذكر غير الحقيقة ، فقد غط مستر راتشيت فى نومه جزءاً من الليل .

- ولكن امرأة تكلمت ... فى أية ساعة ؟

- لا أستطيع القول ... فقد صحوت فى وسط الليل وسمعت امرأة تتكلم .

- هل كان ذلك بعد خوفك من الرجل الذى دخل مقصورتك أو

قبله ؟

- سأرد عليك كما فعلت من قبل . كيف يمكن لذلك الرجل ان يتكلم اذا كان قد مات ؟

- معذرة . لاريب انك تظنين اننى غبى .. أليس كذلك يا سيدتى ؟

- بل اعتقد أنك تعقد الحقائق متعمداً ، ولكننى مازلت لا أصدق أنه كاسيتى ... ماذا ستقول ابنتى ؟

وعرف بوارو بلباقته كيف يحمل مسز هوبارد على اعادة اشيائها الى حقيبتها ، وبعد أن فرغت شيعها حتى الباب . وقبل أن تخرج قال لها :

- سيدتى ... لقد وقع هذا المنديل منك .

وفحصت مسز هوبارد المنديل الباتستا الذى أعطاه لها ثم قالت:

- أنه ليس لى يا مستر بوارو .. هاهو منديلى .

- معذرة ... ظننت أنه منديلك لأنه يحمل حرف هـ .

- أنها مصادفة غريبة فى الواقع . ولكن مناديلى عليها الحروف الأولى لأسمى بالكامل وهى س . م . هـ وهى مناديل عملية بخلاف هذه الخرق الثمينة التى يبيعونها فى باريس .

الفصل الخامس

اقـوال السويديـة

امسك مستر بوك الزر الذى تركته مسز هوبارد وقال :

- عجبا . ايكون بيير ميشيل متورطا فى هذه الجريمة ؟ ... ما رأيك يا صديقى العزيز ؟

- أن هذا الزر يحملنا على الارتياب فيه . ولكن لنستمع الى أقوال السيدة السويدية أولاً ، وبعد ذلك نناقش شهادة الامريكية .

وبحث فى كومة الجوازات التى أمـامه وتناول أحدها وقال :

ها هو : جريتا أوهلسون ، فى التاسعة والأربعين من عمرها .

وأقبلت السيدة المذكورة واتضح انها تشرف على مستشفى بارسالية على مقربة من اسطمبول . وقال بوارو يسألها :

- لعلك علمت بالمأساة التى وقعت الليلة يا آنسة ؟

- نعم يا سيدى ، وهو أمر فظيع ، وقد قالت لى السيدة الامريكية أن القاتل كان موجوداً فى غرفتها قبل أن يرتكب جريمته .

- يبدو يا آنسة انك آخر من رأى القتيل على قيد الحياة .

- هذا جائز ، فقد فتحت باب مقصورته خطأ ، وكان يقرأ كتابا فاعتذرت وأغلقت الباب .

- هل وجه لك الحديث ؟

اضطرم وجه الفتاة وقالت : أخذ يضحك ونطق ببعض الكلمات النابية .

- وماذا فعلت بعد ذلك يا آنسة ؟

- ذهبت الى مقصورة السيدة الأمريكية لكى أطلب منها قرصا من الأسبرين .

- هل سألتك اذا كان الباب الفاصل بين مقصورتها ومقصورة مستر هاربر مغلقا بالمزلاج ؟

- نعم .

- وهل كان مغلقا بالمزلاج حقا ؟

- نعم يا سيدى .

- وبعد ذلك ؟

- عدت الى مقصورتى وابتلعت قرص الاسبرين وتمددت فوق فراشى .

- كم كانت الساعة عندئذ ؟

- عندما تمددت لكى أنام كانت الساعة الحادية عشرة الا خمس دقائق ، فقد نظرت الى ساعتى قبل أن أملأها .

- وهل استولى النوم عليك على الفور ؟

- كلا ، فقد زال صداعى شيئاً ما و بقيت مدة طويلة مستيقظة .

- هل هناك من يقيم معك فى مقصورتك ؟

- نعم . تقيم معى فتاة انجليزية ظريفة قادمة من بغداد .

- هل تغيبت من المقصورة بعد أن انطلق القطار من فنكوفكى .

- كلا . وأنا واثقة من ذلك .

- وكيف هذا وأنت تقولين أنك كنت تنامين ؟

- أن نومى خفيف جدا بحيث أصحو عند أقل حركة . واذا كانت قد هبطت من مرقدها لاستيقظت بكل تأكيد .

- وهل غادرت أنت نفسك المقصورة ؟

- لم أغادرها قبل صباح اليوم .

- الديك منامة حمراء اللون ؟

- كلا يا سيدى .

- والفتاة الانجليزية ، مس دبنهام ، ما لون منامتها ؟

- خضراء وقد اشترتها من بغداد .

وسألها بوارو عندئذ فى رفق .

لماذا تقومين بهذه الرحلة ؟ ... هل أنت فى أجازة ؟

- نعم ، وأنوى قضاءها فى السويد ولكن يجب أن أتوقف أسبوعاً عند أختى فى لوزان .

- هل تتكرمين وتكتبين لى أسم أختك وعنوانها ؟

- بكل سرور .

أخذت الورقة والقلم اللذين ناولهما بوارو أياهما وهو يقول :

- هل تعرفين الولايات المتحدة يا آنسة ؟

- كلا .

- هل تتذكرين قضية أرمسترونج ؟

- كلا . فيم كانت تدور ؟

أخبرها بوارو فى كلمات وجيزة باختطاف الطفلة ديزى أرمسترونج . وأثارت القصة سخط الفتاة . وقالت وهى ترتعش :

- أن وجود مثل هؤلاء المجرمين المتوحشين يزعزع ايمان المرء .
ياللأم المسكينة ! أن قلبى لينفطر حزنا عليها .

وأنصرفت المرأة الكريمة وقد أحمر وجهها وأغرورقت عيناها بالدموع .

وراح بوارو يجرى بالقلم على ورقة فسأله مستر بوك :

ماذا تكتب يا صديقى العزيز ؟

أنني أسجل الحقائق بترتيبها الزمنى .

وإذ فرغ ناول الورقة لمستر بوك ، وكان هذا نصها :

الساعة التاسعة والدقيقة ١٥ : غادر القطار محطة بلغراد .

الساعة التاسعة والدقيقة ٤٠ : خرج الخادم من مقصورة راتشيت بعد أن وضع المنوم فى كوب ماء .

الساعة العاشرة : غادر ماكوين مقصورة راتشيت

الساعة العاشرة والدقيقة ٤٠ : جريتا أوهلسون ترى راتشيت على قيد الحياة لآخر مرة وكان يقرأ كتابا .

الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق : انطلق القطار من محطة فنكوفكى متأخراً عن موعده .

الساعة الثانية عشرة والنصف : الثلج يحاصر القطار .

الساعة الثانية عشرة و ٣٧ دقيقة : دق راتشيت الجرس وقال للمراقب الذى أسرع اليه أنه دق الجرس خطأ .

الساعة الواحدة و ١٧ دقيقة : تتوهم مسز هوبارد أن فى مقصورتها رجل وتدق الجرس .

هز مستر بوك رأسه وقال :

هذا يبدو شديد الوضوح ونستطيع أن نؤكد أن الجريمة ارتكبت فى الساعة الواحدة والربع فإن ساعة القتيل التى توقفت فى تلك الساعة تثبت ذلك كما تثبته شهادة مسز هوبارد ، وأنى أراهن أن القاتل هو ذلك الإيطالى الضخم القادم من أمريكا ... من شيكاغو . ولا تنس أن الايطالى يؤثر استخدام المدية ولا يكتفى يطعن غريمه طعنة واحدة .

- هذا صحيح .

- لاشك أن هذا هو سر اللغز . أن هذا الايطالى وراتشيت ، كاسيتى سابقاً ينضمان الى عصابة واحدة . وبطريقة ما يغدر راتشيت بشركائه ويهتدى الايطالى اليه ويرسل اليه فى بادئ الأمر رسائل التهديد . وأخيراً ينتقم منه بهذه الطريقة الدامية . أن المسألة بسيطة جداً .

هز بوارو رأسه وقال :

- أخشى أنها ليست من البساطة كما تقول . تذكر أن الايطالى يقيم فى المقصورة مع خادم راتشيت وأن الخادم كان يشكو من ألم فى أسنانه اضطره الى أن يبقى مستيقظا طوال الليل وأنه يؤكد أن الايطالى لم يغادر المقصورة .

الفصل السادس

أقوال الأميرة الروسية

قال بوارو :

- لنر الآن ماذا سيقول بيير ميشيل عن هذا الزر .

واستدعى المراقب فأقبل على عجل ونظر الى الرجال الثلاثة متسائلا وقال مستر بوك أخيراً :

- ميشيل ... هذا الزر من سترتك وقد وجدناه فى مقصورة السيدة الأمريكية . فكيف تفسر*وجوده ؟ وبحركة آليه رفع المراقب يده الى سترته وقال :

- هناك خطأ بكل تأكيد فأننى لم أفقد أى زر .

- الواقع أن هذا غريب ، ولكن طبقاً للظروف نستطيع أن نؤكد أن هذا الزر وقع من ثياب الرجل الذى كان موجوداً أمس فى مقصورة مسز هوبارد عندما دقت الجرس .

- ولكن لم يكن هناك أحد فى مقصورتها يا سيدى . هذا محض خيال منها .

- كلا يا ميشيل . أن قاتل مستر راتشيت مر بها وترك هذا الزر فيها .

وإذ أدرك المراقب معنى كلمات مستر بوك تملكه الغضب وصاح :

هذا كذب يا سيدى . انك تتهمنى بارتكاب هذه الجريمة . أنا ؟ أننى برئ . ولماذا أقتل هذا السيد وأنا لا أعرفه اطلاقا ؟

– اين كنت عندما دقت مسز هوبارد الجرس ؟

– سبق أن قلت لك أننى كنت فى القطار أتحدث مع زميلى .

– سوف نستدعيه ونستجوبه .

– أرجوك يا سيدى ... أفعل .

وجئ بمراقب العربة الثانية فأيد أقوال بيير ميشيل وزاد فقال أن مراقب عربة بوخارست كان موجوداً معهما هو الآخر وانهم تحدثوا ثلاثتهم عن تأخر القطار بسبب الثلج وانهم كانوا يتحدثون منذ نحو عشر دقائق عندما خيل لميشيل أنه يسمع جرساً يدق وأنه أسرع لكى يرد عليها .

وصاح ميشيل :

ومن هذا ترى أننى لست الجانى .

– فسر لنا أذن وجود هذا الزر فى مقصورة مسز هوبارد .

– أننى لا أفهم شيئاً . هذا سر مستغلق بالنسبة لى . فلم

أفقد أي زر من سترتي .

وقرر زميلاه نفس الشئ واردفا يقولان أن أيا منهما لم يدخل فى أى وقت من الأوقات متصورة مسز هوبارد . وقال مستر بوك :

- ليفرغ روعك يا ميشيل ، واجبنى على هذا السؤال الأخير : ألم تلتق بأحد عندما ذهبت للرد على مسز هوبارد ؟

- كلا يا سيدي .

- ألم تر أحداً يمضى الى الناحية الأخرى من الممر ؟

- كلا يا سيدى .

- هذا غريب .

قال بوارو :

ليس الى هذا الحد ، فالمسألة مسألة دقائق فقد استيقظت مسز هوبارد و أكتشفت وجود رجل فى مقصورتها . ومضت دقيقة أو دقيقتان وهى مشلولة الحركة من الخوف وأغمضت عينيها فتسلل الرجل الى الممر ، ودقت السيدة لجرس تستدعى المراقب ولكن هذا الأخير لم يأت الا بعد أن دقت أربع أو خمس مرات ومن رأيى أن هذا الوقت كان أكثر من كاف لكى يختفى الرجل .

- وأين اختفى ؟ .. أين ؟ لا تنسى يا صديقى أن الثلج يحاصر القطار من كل ناحية .

- لا يزال أمام قاتلنا الخفى وسيلتان : أما اللجوء الى أحدى دورات المياه أو الاختفاء فى أحدى المقصورات .

- ولكن ليست هنالك أية مقصورة شاغرة .

- تماما .

- هل تعنى أن القاتل عاد الى مقصورته هو بالذات ؟

- هو ذلك .

تمتم مستر بوك :

- هذا جائز . كان فى مقدوره أثناء الدقائق العشر التى تغيبها أن يغادر مقصورته ويمضى الى مقصورة راتشيت ويقتله ثم يغلق الباب ويوصده بالمزلاج من الداخل ثم يخرج من مقصورة مسز هوبارد ويعود الى مقصورته فى أمان قبل أن يظهر المراقب .

- بالنسبة لى لم تقع الأمور بمثل هذه البساطة يا صديقى العزيز . وسيقول لك الدكتور رأيه .

صرف مستر بوك المراقبين الثلاثة بأشارة من يده ثم قال :

- لا يزال أمامنا ثمانية من المسافرين يجب أن نستجوبهم . خمسة بالدرجة الأولى وهم الأميرة دراجوميروف والكونت اندريني وزوجته والكولونل أرتبنوت ومستر هاريمان . و ثلاثة بالدرجة الثانية وهم مس دبنهام وأنطونيو فوسكاريللى والخادمة شميدث . بمن نبدأ ؟ هل نبدأ بالإيطالى ؟

- أراك متكالبا على الأيطالى يا صديقى . كلا . لنبدأ بالأميرة الروسية ، ذلك اذا أرادت أن تتكرم وتكرس لنا بضع دقائق من وقتها الثمين .

وتكرمت الأميرة دراجوميروف وأقبلت . وبعد تحية خفيفة جلست أمام بوارو . وكان وجهها الأشبه بوجه الضفدعة يبدو أشد أصفرارا عن الأمس . كانت دميمة طبعاً ولكن كان لها عينان جميلتان براقتان كماستين سوداوين يعكسان طاقة خفية وذكاء خارقا . وقالت بصوتها الخفيض تضع حداً لاعتذارات مستر بوك :

- لا داعى للاعتذار يا سيدى . ارتكبت جريمة فى هذا القطار ومن الطبيعى أن تستوجب كل المسافرين ، ومن ناحيتى أنا يسرنى أن أقدم لك كل التوضيحات الممكنة .

قال بوارو :

أنك كريمة جداً يا سيدى .

- أبداً . أننى أنما أقوم بواجبى لا أكثر . ماذا تريد أن تعرف منى ؟

- أولاً أسمك وعنوانك يا سيدتى . ربما تفضلين أن تكتبيها بنفسك ؟

وبسط لها ورقة وقلما ولكنها ردتهما قائلة :

- أكتب أنت نفسك يا سيدى ...

اسمى ناتاليا دراجوميروف وعنوانى ١٧ شارع كليبر بباريس .

- أقادمة أنت من القسطنطينية يا سيدتى ؟؟

- نعم . وقد أقمت هناك فى سفارة النمسا . وترافقنى وصيفتى .

- هل تتكرمين وتذكرين لنا مجملا وجيزاً عن تحركاتك مساء أمس ابتداء من ساعة العشاء .

- بكل سرور . كنت قد طلبت من المراقب أن يعد لى الفراش أثناء تناولى طعام العشاء ، وما أن فرغت من تناول الطعام حتى استلقيت فوق فراشى وقرأت حتى الساعة الحادية عشرة وأطفأت

النور ولكن الروماتيزم أقصى النوم عنى . وفى نحو الساعة الواحدة الا الربع أستدعيت خادمتى فدلكتنى وراحت تقرأ لى بصوت عال الى أن غلبنى النوم ، ولا استطيع أن أحدد الساعة التى أنصرفت فيها . ومن الجائز أنها كانت الواحدة والنصف كما أن من الجائز أنها بعد ذلك .

- هل كان القطار متوقفا ؟

- نعم .

- ألم تسمعى شيئاً غير عادى يا سيدى .

- كلا .

- ما أسم خادمتك ؟

هلدجارد شميدث

- أهى فى خدمتك منذ وقت طويل ؟

- منذ خمسة عشر عاماً .

- هل تضمنين نزاهتها ؟

- طبعاً . أن أسرتها تقيم فى بلد زوجى الفقيد ... المانيا .

- يبدو لى أنك سافرت الى أمريكا ؟

أجفلت الأميرة لتغيير مجرى الحديث ولكنها أجابت :

- نعم . مرارا كثيرة .

- هل تعرفت فى أحدى هذه المرات بأل أرمسترونج ... أعنى الأسرة التى تعرضت لظروف قاسية ؟؟

قالت الأميرة فى صوت يتهدج من الانفعال :

- أنك تتحدث عن أعز اصدقائى .

- هل كنت تعرفين الكولونل أرمسترونج اذن ؟

- نعم ولكن كانت معرفتى بزوجته أكثر . كانت سونيا أرمسترونج ابنتى فى العماد ، وكانت تربطنى بأمها الممثلة المشهورة لندا آرون صداقة قوية . أنها ممثلة قديرة لن يجاريها أحد أبداً فى دور الليدى ماكبث .

- هل ماتت ؟

- كلا .. كلا . أنها مازالت على قيد الحياة ولكنها تعيش فى عزلة تامة . أن صحتها رقيقة تجبرها على البقاء جالسة فى مقعدها طوال الوقت تقريبا .

- يخيل لى أن لها ابنة أخرى .

- نعم . أصغر بكثير من مسز أرمستونج .

- أما زالت على قيد الحياة .

- طبعاً .

- وأين تقيم ؟

ألقت الاميرة نظرة فاحصة على بوارو ثم قالت :

لماذا تلقى على كل هذه الاسئلة ؟ الها علاقة بالقضية التى تهمك .. أعنى الجريمة التى ارتكبت فى هذا القطار ؟

- نعم يا سيدتى . بصفة مباشرة تقريبا . فإن الرجل الذى قتل فى القطار هو مختطف وقاتل ابنة مسز أرمسترونج .

- آه .

ورفعت الأميرة حاجبيها واعتدلت فى جلستها واردفت :

- هذه عناية السماء ، وأرجو أن تعفر لى صراحتى وقسوتى .

- اننى أفهم شعورك يا سيدتى ، ولكن لنعد الى موضوعنا ، انك لم تقولى لى أين تقيم الابنة الثانية للندا آردن .

- الحق اننى لا أدرى فقد فقدت كل صلة بالجيل الجديد . ولكن يبدو لى أنها بعد أن تزوجت من رجل انجليزى مضت للاقامة معه فى انجلترا ، ولا اذكر حتى اسمه .

وسكتت سكتة قصيرة وقالت :

- هل تريد شيئاً آخر يا سيدى ؟

- نعم سؤال أخير ... لون منامتك ؟

رفعت حاجبيها مرة أخرى وقالت :

- لا ريب أن هناك سببا يحدوك الى مثل هذا السؤال .. أنها من الساتان الأزرق .

- هذا كل شئ يا سيدتى ، وشكراً لك .

أتت باشارة من يدها المثقلة بالخواتم ونهضت .

ونهض الرجال الثلاثة هم الأخرون ، ولكنها قبل أن تبلغ الباب ، تحولت الى برارو وسألته :

- أرجوا المعذرة يا سيدى . ولكن هل أستطيع أن أسألك عن اسمك ؟؟ ... أن وجهك يبدو مألوفا لى .

- هركيول بوارو ، فى خدمتك يا سيدتى .

قالت بعد صمت قصير :

- هركيول بوارو ... هذا هو الأمر أذن ... أنها يد القدر .

وانصرفت رافعة الرأس . وقال مستر بوك :

- امرأة عظيمة . ما رأيك الآن يا صديقى ؟

هز بوارو رأسه وقال فى تفكير :

- اننى اتساءل ما الذى تعنيه بقولها «انها يد القدر»

الفصل السابع

أقوال الكونت اندريني وزوجته

استدعى بعد ذلك الكونت اندريني وزوجته ، ومع ذلك فقد أقبل الكونت بمفرده . وكان رجلا وسيما عريض الكتفين طويل القامة يرتدى بذلة من الجوخ الثمين . وقال :

- ماذا أستطيع أن اؤدى لكم ايها السادة ؟

أجابة بوارو :

لعلك تفهم يا سيدى أنه بعد الحادث الذى وقع الليلة فإن واجبى يرغمنى أن ألقى أسئلة معينة بالذات على جميع المسافرين .

- بلا ريب . غير اننى لا أظن أن باستطاعتى ، لا أنا ولا زوجتى أن نفيد التحقيق فى شئ فقد كنا نائمين ولم نسمع شيئاً .

- هل تعرف شخصية القتيل يا سيدى ؟

- أظن أنه ذلك الامريكى المسن ... رجل بغيض السحنة كان يجلس الى هذه المائدة عند تناول الطعام .

وأشار الى المائدة التى كان يجلس اليها راتشيت وماكوين

بالأمس .

- هو نفسه ، ولكننى أقصد هل تعرف اسمه ؟

أجاب الكونت مدهوشا :

- كلا . ولكن اذا كنت تريد أن تعرف اسمه فما عليك الا أن تنظر الى جواز سفره .

- أن الاسم المذكور فى جواز سفره هو راتشيت ، ولكنه اسم مستعار . واسمه فى الواقع كاسيتى وقد اختطف طفلة فى أمريكا .

وكان بوارو ، وهو يتكلم ، يدرس ملامح الكونت ، ولكن هذا الأخير بقى جامد الأسارير وقال بلهجة طبيعية :

- لا ريب أن هذا يفيد التحقيق ... أن أمريكا بلد عجيب !

- لا ريب أنك أقمت فى أمريكا يا سيدى الكونت .

- أقمت سنة فى واشنطن .

- لعلك عرفت آل أرمسترونج ؟

- أرمسترونج ... أرمستونج ... لا أتذكر . أننى التقيت بأناس كثيرين . ولكن لنعد الى المسألة التى تهمكم ... ما هى المعلومات التى تريد أن تعرفها منى ؟

- متى أويتما الى فراشكما أمس ؟

- فى نحو الساعة الحادية عشرة ، وقد استولى على النوم على الفور ولم استيقظ الا فى الصباح .

- هل لاحظت توقف القطار ؟

- كلا . لم الاحظه الا صباح اليوم .

- وزوجتك ؟

- ان زوجتى لا تنام فى القطار ابداً الا بعد أن تأخذ منوما ، وقد أخذت القرص أمس قبل أن تنام ويؤسفنى اننى لا أستطيع أن أقدم لك معونة حقا .

ناوله بوارو ورقة وقلما وقال له :

هذا اجراء شكلى وأرجو أن تكتب اسمك وعنوانك .

كتب الكونت اسمه وعنوانه ثم ناوله الورقة وهو يقول :

- ليس من الضرورى ازعاج زوجتى فهى لن تستطيع الا تكرار أقوالى بالذات .

ومض بريق فى عينى بوارو وقال :؟

- بلا ريب ... بلا ريب ولكننى أفضل أن أسالها بنفسى .

قال الكونت بلهجة لا تقبل الجدل :

- أؤكد أنه لا فائدة من قدومها .

ولكن بوارو عاد يقول فى تسامح :

- أوه ... أنه مجرد استجواب روتينى . يجب أن أقدم تقريراً كاملاً عن التحقيق .

- كما تشاء .

وانصرف الكونت على مضض . وتناول بوارو جواز السفر ، وكان واردا به أسم ولقب الكونت وعليه هذه الكلمات «ترافقه زوجته واسمها ايلينا ماريا جولدنبرج .

يبدو أن موظفا غير حريص لوثه ببقعة من الدسم ، وقال مستر بوك :

- حذار يا صديقى ، فهذا جواز سفر سياسى ، ولا أظن أن لهما صلة بهذه الجريمة .

- ليطمئن بالك فسأكون حريصا جداً .

وأقبلت الكونتس اندرينى فى هذه اللحظة ، وهى امرأة ذات فتنة كبيرة . ولم تخرج أقوالها عن أقوال زوجها . وقال لها بوارو :

- هل رافقت زوجك الى أمريكا يا سيدتى ؟

- كلا يا سيدى . لم نكن قد تزوجنا فى ذلك الوقت بعد . لم نتزوج الا منذ سنة واحدة .

- حسنا . أشكرك يا سيدتى . وبهذه المناسبة هل يدخن زوجك .

حدقت فيه وقالت :

- نعم .

- هل يدخن الغليون ؟

- كلا يا سيدى . انه يدخن السجاير والسيجار .

- آه . شكراً لك يا سيدى . هل أستطيع أن أعرف لون منامتك ؟

نظرت اليه ضاحكة وقالت :

- صفراء ... أيهمك أن تعرف هذا حقا ؟

- جداً يا سيدتى .

- أنت مخبر سرى حقا اذن .

انحنى بوارو أمامها وقال :

- نعم يا سيدتى . هذا كل شئ .

وقال مستر بوك بعد أن انصرفت :

- أنها امرأة جميلة . ولكن جمالها لم يفد التحقيق فى شئ .

قال بوارو :

- هذا صحيح . أنهما لم يريا أو يسمعا شيئاً .

- هل نستدعى الايطالى الآن ؟

لم يجب بوارو على الفور ... كان يفحص بقعة الدسم على الجواز السياسى الهنغارى .

الفصل الثامن

أقوال الكولونل أرتبنوت

اعتدل بوارو وطرفت عيناه أمام نظرة مستر بوك الحادة وقال :

– آه يا صديقي العزيز . أرى أن نفرغ من ركاب الدرجة الأولى أولاً فنؤجل استجواب الايطالى الى ما بعد ونستجوب الكولونل أرتبنوت أولا .

ولما كان بوارو يعرف أن هذا الأخير لا يجيد الفرنسية فقد خاطبه بالانجليزية ، بدأ فسأله عن أسمه وعنوانه ووظيفته العسكرية ثم قال :

– انك قادم من الهند فى طريقك الى انجليرا فى اجازه ؟

– نعم .

– هل أتيت من الهند مباشرة ؟

أجاب الكولونل فى حدة :

– أننى قضيت ليلة فى أور وثلاثة أيام فى بغداد مع صديق لى .

– قضيت ثلاثة أيام فى بغداد . أن مس دبنهام قدمت هى

الأخرى من بغداد ، فهل التقيتما فى تلك المدينة ؟

- أننى رأيت مس دبنهام لأول مرة فى قطار كروك فى نصيبين .

انحنى بوارو الى الامام وقال فى لهجة مقنعة :

- أرجوك أن لا تغضب يا سيدى فأنت ومس دبنهام الانجليزيان الوحيدان فى هذا القطار ، ومن الضرورى اذن أن يذكر لى كل منكما رأيه فى الآخر .

أجاب الكولونل فى برود :

- هذا غير معقول .

- اصغ الى . من المرجع أن الجريمة ارتكبتها امرأة ، وقد أصيب القتيل بأثنتى عشرة طعنة . وقد قال مفتش القطار نفسه أن هذه الجريمة من عمل امرأة ويحتم على واجبى فى هذا الحالة أن أهتم بدراسة حالة كل سيدة على حدة . ولكن مس دبنهام انجليزية والانجليزيات متحفظات جدا كما تعلم وأرجو أن تقول لى أى نوع من النساء هى ... ماذا تعرف عنها ؟

- ان مس دبنهام امرأة من الطبقة العليا .

- ولهذا لا تظن أنها قد تكون متورطة فى هذه الجريمة .

- هذه فكرة لا تستند على أساس فان القتيل شخص مجهول

منها تماما ، لم يسبق لها أن رأته .

- هل قالت لك ذلك ؟

- نعم . أشارت الى سحنته الدميمة والبغيضة واذا كانت امرأة هى التى ارتكبت الجريمة ، ويبدو أن هذا هو ما تعتقده ، فإن مس دنبهام لا يمكن أن يرقى اليها الشك .

قال بوارو وهو يبتسم :

- انك تدافع عنها بحرارة .

رماه الكولونل بنظرة جافة وقال :

- انني اتساءل ما الذى توعز اليه .

خفض بوارو عينيه وراح يقلب فى الأوراق التي أمامه وقال :

- لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الجريمة ارتكبت فى نحو الساعة الواحدة والربع ، ومن الضرورى اذن أن نعرف ماذا كان يفعل الجميع في ذلك الوقت .

- أتذكر اننى كنت اتحدث فى ذلك الوقت مع الأمريكى الشاب سكرتير القتيل .

- هل كنت معه فى مقصورته أو فى مقصورتك أنت ؟

– كنت فى مقصورته .

– أهو صديق لك ؟

– كلا . رأيته فى ذلك اليوم لأول مرة . وتبادلنا بضع كلمات مساء أمس ثم تشعب الحديث بيننا ، وأنا فى العادة لا أرتبط بسهولة مع أى أمريكى لأننى لا أشعر نحوهم بأى ود ولكن هذا الشاب راق لى على الفور ، وقد أبدى بعض الملاحظات المضحكة عن الهند ، وأنا قضيت فى الهند ثلاثين سنة وقد دحضت حججه بكل مشقة . ثم أنه تحدث عن المسألة المالية فى أمريكا وعن الحالة السياسية بصفة عامة . وجرنا الحديث فلم نشعر بمرور الوقت وعندما نظرت الى ساعتى كانت تشير الى الثانية الا الربع ، فذهبت الى مقصورتى لكى أنام .

– مقصورتك هى رقم ١٥ ، أى المقصورة قبل الأخيرة فى اتجاه عربة الطعام ، أليس كذلك ؟

– نعم .

– أين كان مراقب القطار فى ذلك الوقت ؟

– كان جالسا فى مقعده فى آخر الممر ، وقد استدعاه ماكوين اليه .

- لماذا ؟

- ليعد له فراشه من غير شك .

- كولونل ارتبنوت ، فكر جيداً قبل أن تجيب ... هل مر أحد بالممر أمام الباب وأنتما تتحدثان ؟

- مر كثيرون ولكننى لم أهتم بهم .

- أعنى خلال الساعة الاخيرة من حديثكما . انك هبطت فى فنكوفكى ، أليس كذلك ؟

- نعم ، ولكننى لم أبق أكثر من دقيقة ، فقد كان البرد شديداً جداً بحيث أسرعنا بالعودة ، وبهذه المناسبة أقول لك أننا نختنق فى هذا القطار .

وتنهد مستر بوك وقال :

- لا يمكن ارضاء الجميع أبداً . أن الانجليز يريدون أن نفتح النوافذ والباقون يسارعون باغلاقها .

لم يبد بوارو ولا الكولونل ارتبنوت اهتماماً لهذه الملاحظة . وقال بوارو :

عد بذاكرتك الى الوراء قليلا ، الى تلك اللحظة التى أرغمك فيها البرد الى العودة داخل القطار ... جلست اذن ودخنت

سيجارة ... أو غليونا ...

وسكت بوارو لحظة ، وقدم الكولونل المعلومة المطلوبة فقال :

- اننى أدخن الغليون ، أما مستر ماكوين فيدخن السيجار .

- حسنا . عاد القطار فانطلق من جديد ودخنت انت الغليون وانتما تتحدثان عن السياسة ، وتقدم الليل بكما واوى كل المسافرين تقريبا الى مقصوراتهم فهل مر أحد أمام الباب .

قطب أرتبنوت جبينه وهو يحاول أن يجمع ذكرياته وقال :

- من العسير أن أحدد ذلك .

كان كل اهتمامى منصبا على الحديث .

- ولكن الجندى يملك موهبة غير عادية تساعده على الملاحظة فيرى الأشياء دون أن ينظر اليها تقريبا . فكر الكولونل مرة أخرى ثم هز رأسه وقال :

- لا أتذكر أننى رأيت أحداً يمر بالممر فيما عدا المراقب ... آه ... بل أتذكر الآن ... لقد مرت امرأة .

- هل رأيتها ؟ .... أهى شابة ؟؟ ... أم مسنة ؟

- لم أرها ، فقد كنت أدير ظهرى للباب ولكننى سمعت حفيف ثوب حريرى وشممت رائحة عطر .

- أى نوع من العطر ؟

- لا أستطيع التحديد بالضبط ، ولكنه كان نفاذا جداً بحيث انتشرت رائحته فى كل مكان ولاأستطيع أن أقول متى تغلغلت هذه الرائحة فى خياشيمى ... ولكن يبدو لى أنها استرعت اهتمامى بعد مغادرتنا لفنكوفكى .

- كيف ذلك ؟

- كنا نتحدث عن الخطة الخمسية وعن موقف المرأة السوفيتية ، وقد تناولنا هاتين المسألتين فى نهاية حديثنا .

- حسنا . هل تعرف امريكا يا كولونل أرتبنوت ؟

- كلا . لم أذهب اليها قط .

- الا تتذكر ضابطاً انجليزيا يدعى أرمسترونج ؟

- أرمسترونج ؟ .. أرمسترونج ؟ ... عرفت ضابطين أو ثلاثة بهذا الاسم .. تومى أرمسترونج بالغرفة رقم ٦٠ وسلبى أرمسترونج الذى لقى مصرعه فى معركة السوم .

- أننى أعنى الكولونل أرمسترونج الذى تزوج من أمريكية والذى أختطف الأشقياء ابنته وقتلوها .

- آه . أتذكر اننى قرأت عن هذه القصة فى الجرائد ... أنك

تتكلم عن تومى أرمسترونج اذن ؟ ... كلا . لم أعرفه ولكننى سمعت انه كان ضابطا قديرا وأنه نال صليب فكتوريا .

- أن الرجل الذى قتل هذه الليلة هو قاتل ابنة الكولونل أرمسترونج .

- اذا صح هذا فإنه استحق مصيره ... ومع ذلك فقد كنت أوثر أن أراه معلقا فى حبل المشنقة .

- أرى أنك تفضل القصاص القانونى عن الانتقام الشخصى يا كولونل ؟

- أن الانتقام الشخصى غير مقبول ولا مشروع . ومن رأيى أن أسلم طريقة هى العدالة القضائية .

قال بوارو وهو يتأمل الكولونل :

- اننى أحبذ رأيك هذا يا كولونل . أظن أن هذا كل شئ ... الا تذكر اذا كان هناك أى شئ أثار ريبتك ؟

- كلا ... لا شئ اللهم ...

وتردد فقال بوارو :

- تكلم ... أرجوك .

- آنه ... شئ تافه ... عندما هممت بدخول مقصورتى بعد

أن غادرت ماكوين لاحظت أن باب المقصورة رقم ١٦ التى بجوارى كان مواربا وأن المسافر الذى يشغل هذه المقصورة القى نظرة سريعة الى الممر ثم أسرع فأغلق الباب . وقد أثارت حركته هذه دهشتي ... وقد يكون ذلك أمراً طبيعيا ولكن في هدوء الساعات الأولى من الصباح يبدو ذلك أمراً مستغربا .

ونهض وهو يقول :- اذا لم تكن بحاجة الى ...

- أشكرك يا كولونل أرتبنوت هذا كل شئ .

تردد الضابط لحظة ولكنه لم يلبث أن قال وقد اضطرم وجهه شيئاً ما :- وبخصوص مس دبنهام ، أقول لك أنها امرأة لا غبار عليها .

وانصرف .

وراح بوارو يدق بأصابعه على المائدة ثم أستغرق فى التفكير وقال أخيراً :- أن الكولونل يدخن الغليون ، وقد وجدت فى مقصورة مستر راتشيت اداة لتنظيف الغليون ... ومستر راتشيت نفسه لا يدخن الا السيجار .

- اذن فأنت تعتقد ؟ ..

- أنه الرجل الوحيد حتى الآن الذى اعترف بأنه يدخن

الغليون . ثم أنه سمع عن الكولونيل أرمسترونج ، ولعله كان يعرفه وأن لم يعترف بذلك .

- هل تظن ؟

هز بوارو رأسه فى قوة وقال :- كلا . هذا مستحيل ... محال أن يطعن رجل انجليزى محترم متوسط الذكاء ويحترم القانون غريمه أثنتى عشرة طعنة ... كلا ، أن الكولونل أرتبنوت ليس ضالتنا . لننتقل الآن الى الشاهد التالى .

لَم ينطق مستر بوك باسم الايطالى هذه المرة ولكنه فكر فيه .

الفصل العاسع

أقوال مستر هاردمان

كان الامريكى الطويل القامة المتوهج الوجه الذى شارك الايطالي الخادم مائدة الطعام آخر الدرجة الأولى ، وكان يدعى مستر هاردمان ، وكان يرتدى بذلة زاهية اللون من صوف ذى مربعات وقميصا ورديا ودبوسا لرباط الرقبة يلوك بين فكيه شيئاً حين دخل . وكان وجهه الضخم وقسماته الفظة تنطق بسذاجته .

قال : صباح الخير أيها السادة ... ماذا أستطيع أن أؤدى لكم ؟

- هل سمعت عن الجريمة يا مستر هاردمان ؟

- طبعا .

- أن واجبنا يرغمنا على استجواب الجميع .

- حسنا . هذه هى الطريقة الوحيدة للوصول الى الحل .

نظر بوارو الى جواز سفر مفتوح أمامه وقال :- سيروس بتمان هاردمان ، أمريكى الجنسية فى الواحدة والأربعين من العمر ، وكيل شركة لأشرطة الالات الكاتبة .

- هو ذلك .

- هل غادرت اسطمبول فى طريقك الى باريس ؟

- تماما .

- وما الغرض من هذه الرحلة ؟

- لانجاز بعض الأعمال .

- هل تسافر فى الدرجة الأولى عادة يا مستر هاردمان ؟

أجاب هاردمان وهو يغمز بعينيه :- نعم . أن شركتى هى التى تدفع نفقات السفر .

- الديك ما تخبرنا به عن الجريمة التى أرتكبت أمس .

- كلا يا سيدى .

- هذا أمر يؤسف له . لعلك تستطيع أن تقول لنا فيم قضيت وقتك مساء أمس ، بعد تناول العشاء ؟

ولأول مرة فكر الأمريكى قبل أن يجيب :- معذرة يا سيدى . قل لى أولاً من أنتم ؟

قال بوارو :- هذا مستر بوك مدير شركة عربات النوم وهذا هو الدكتور قسطنطين الذى فحص القتيل .

- وأنت ؟

- أنا هركيول بوارو ، وقد كلفني مستر بوك باجراء التحقيق .

قال مستر هاردمان :- انني سمعت عنك .

ثم أردف يقول بعد لحظات :- من الأوفق أن أصارحك القول أذن .

قال بوارو في لهجة جافة :- انني انصحك بذلك .

- لو أنني كنت أعرف شيئاً ما لأخبرتك به على الفور ، ولكنني لا أعرف شيئاً ... ويحزنني ذلك لأنه كان يجب أن أقدم لك ما يفيد التحقيق .

- أرجوك أن تصل الى الموضوع يا مستر هاردمان .

لفظ مستر هاردمان قطعة اللبان التي كان يلوكها ودس يده اليمنى في جيبه ، وفجأة تغيرت هيئة الرجل فقد خلع عنه الدور الذي يقوم به واسترد مظهره الطبيعي ، وقال في لهجة عادية تختلف عن مهمته المصطنعة السابقة :

- أن هذا الجواز مزور ... واليك شخصيتي الحقيقية .

فحص بوارو البطاقة التي ناوله الامريكي اياها . وانحنى مستر بوك فوق كتف صديقه وقرأ :

مستر سيروس ب . هاردمان

مخبر سرى بوكالة ماكنيل بنيويورك

وكان بوارو يعرف الوكالة المذكورة ويعرف أنها من أكبر الوكالات الأمريكية للتحرى والاستقصاءات وقال :

- جان الوقت لكى تفسر لنا معنى هذا .

- طبعا . اننى أتيت الى أوربا لمطاردة رجلين من اللصوص لا صلة لهما بهذه القضية . وقد ألقيت القبض عليهما فى أسطمبول وأبرقت لرئيسى بذلك فأمرنى أن أعود ، وكنت أستعد للعودة الى أمريكا عندما جاءتنى هذه .

وناول بوارو رسالة هذا نصها .

سيدى العزيز .

«علمت انك تنتمى الى وكالة ماكنيل وأرجو أن تتكرم وتأتى لمقابلى فى مسكنى فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم » .

وكانت الرسالة تحمل توقيع راتشيت ، ومكتوبة على أحد خطابات فندق توكاتليان .

- حسنا .

- ذهبت فى الموعد المذكور وقابلت مستر راتشيت الذى

أطلعني على الموقف وأرانى رسالتين .

- هل كان يعتقد أن حياته كانت فى خطر ؟

- كان يزعم العكس ، ولكنه كان شديد الهلع فى الواقع . وقد طلب منى أن أسافر معه فى نفس القطار الى باريس وأن أسهر على سلامته ، ولكنه قتل على الرغم من حراستى له ويحزننى ذلك كل الحزن لأننى أعتبر أننى فشلت فى هذه المهمة .

- هل بين لك كيف تفعل لحمايته ؟

- طبعا . أنه أعد كل شئ ، ولكن لسوء الحظ لم أستطع الحصول على المقصورة التى بجواره ولم يكن باقيا غير المقصورة رقم ١٦ ، ومع ذلك فقد وجدت مشقة كبيرة فى الحصول عليها واشك فى أن مراقب القطار أراد أن يحتفظ بها بصورة احتياطية . ولكننى عندما فحصت الموقف رأيت أن المقصورة رقم ١٦ فى موضع استراتيجى ممتاز ، فإن عربة الأكل تقع بعد القاطرة مباشرة ، ومن هذه الناحية كان باب الممر المجاور لعربة الطعام يغلق أثناء الليل . أما من الناحية الأخرى فلابد للقاتل أن يمر أمام مقصورتى .

- ألا تعرف أوصاف القاتل المحتمل ؟

- كلا . ولكن مستر راتشيت وصفه لى .

- ماذا ؟

انحنى الرجال الثلاثة نحو هاردمان الذى استطرد يقول :- قال لى أنه رجل قصير اسمر له صوت نسائى حلو ، ولم يكن يتوقع أن يهاجمه أحد فى الليلة الأولى للرحلة وإنما فى الليلة الثانية أو الثالثة .

قال مستر بوك :- كان يعرف أذن ؟

وقال بوارو فى تفكير :- كان يعرف أكثر مما ذكره لسكرتيره بالتأكيد . هل قال لك لماذا كان يخشى على حياته ؟

- كلا . كان متحفظا فى هذه النقطة . ولم يكن يرد على أسئلته الا بأن غريمه يريد موته .

قال بوارو فى تفكير :- رجل قصير أسمر له صوت نسائى ...

ثم نظر الى هاردمان وقال :- انك كنت تعرف شخصيته الحقيقية طبعا ...

- شخصية من ؟

- راتشيت ... ألم تعرفه ؟ ... أنه كاسيتى قاتل ابنة

أرمسترونج .

وأطلق مستر هاردمان صفيراً طويلاً وقال :- يالها من قصة ! .. الواقع أننى لم أكن أعرفه فقد كنت موجوداً فى بلد غير أمريكا فى ذلك الوقت . لعلنى رأيت صورة كاسيتى فى الجرائد ولكن صور الجرائد لا تكون واضحة دائماً . لم يكن هناك شك فى أن ذلك المجرم الايطالى كان له أعداء كثيرون .

- هل تتذكر اذا كان بين الاشخاص الذين اشتركوا فى هذه القضية رجل تنطبق عليه هذه الأوصاف : قصير وأسمر اللون وله صوت نسائى ؟

فكر هاردمان لحظة ثم قال :- أن كل أفراد أسرة أرمسترونج ماتوا تقريبا ، حتى الخادمة التى كان منوطا بها حراسة الطفلة القت بنفسها من النافذة .

- هذا صحيح . كانت تلك الفتاة أجنبية ، أليس كذلك ؟ ولكن لا يجب أن نهتم بقضية أرمسترونج فقط فإن كاسيتى كان متخصصا فى اختطاف الأطفال .

- ربما ... ولكن لدينا من الاسباب ما يجعلنا نربط مقتل هذا الشقى بقضية أرمسترونج .

نظر مستر هاردمان اليه متسائلاً ، ولكن بوارو لزم الصمت .
وهز الأمريكى رأسه وقال :

- لا أرى أحداً ينطبق أوصافه على الأوصاف المذكورة ، ولكننى أعود فأقول أننى لم أكن فى نيويورك فى ذلك الوقت ولم أتابع هذه القضية عن كثب .

- حسنا . أكمل أقوالك يا مستر هاردمان .

- ليس هناك الكثير ... كنت أنام بالنهار لكى أسهر بالليل ، وفيما يتعلق بى مر كل شئ بالأمس بصورة عادية . كنت أراقب الممر من باب مقصورتى الموارب ولم يمر أحد .

- هل أنت واثق من ذلك ؟

- كل الثقة . لم يمر أحد من باب الرصيف ولا من عربة أثينا ، وأقسم لك بشرفى على ذلك .

- هل كنت تستطيع رؤية مراقب القطار وأنت فى مكانك ؟

- طبعاً ، فإن مقعده يقع بجوار مقصورتى تقريبا .

- هل غادر مكانه بعد توقف القطار فى فنكوفكى ؟

- أنه رد على رنين الجرس مرتين بعد أن توقف القطار بقليل ، ثم مر أمامى بعد ذلك لكى يذهب الى العربة الأخرى وبقى بها

ما يقرب من ربع ساعة . وصلصل الجرس فى ذلك الوقت فعاد المراقب راكضا . وخرجت الى الممر لكى أرى ما هنالك ، فرأيت السيدة الأمريكية تحتج على شئ لا أدرى ما هو . وذهب المراقب بعد ذلك الى مقصورة أخرى وأحضر زجاجة من المياه المعدنية لأحد المسافرين ثم عاد فجلس مكانه . وبعد لحظة ذهب الى آخر العربة ليعد فراش أحد المسافرين ويبدو لى أنه لم يتحرك بعد ذلك .

- هل نام ؟

- لا أستطيع أن أقول لك ذلك .

تناول بوارو من فوق المائدة بطاقة المخبر السرى وقال : هل لك أن تصدق على توقيعك على هذه الورقة .

وقال بعد أن فرغ الآخر من توقيعه : أظن أنه ليس هناك ما يؤيد شخصيتك يا مستر هاردمان ؟

- فى هذا القطار ؟ ... كلا . ذلك مالم يكن ماكوين قد عرفنى ، فقد رأيته مراراً فى مكتب أبيه بنيويورك ولكن لا أظن أنه التفت الى بصفة خاصة بين العملاء الكثيرين الذين كانوا يتوافدون على المكتب .

كلا يا مستر بوارو ، يجب أن ننتظر حتى ينحصر الثلج وأن نستأنف رحلتنا لكى تبرق الى نيويورك . ولكن لك أن تطمئن فأنا لم أخدعك . الى اللقاء أيها السادة . يسرنى أننى تعرفت بك يا مستر بوارو .

قدم له بوارو سيجارة وهو يقول : لعلك تفضل الغليون ؟

– كلا . اننى لا أدخن الغليون .

وأخذ سيجارة وانصرف فى خطوات كبيرة .

وتبادل الرجال الثلاثة النظر . وقال الطبيب : هل تصدقه ؟

– نعم . أننى أعرف هذا النوع من الناس . ثم أن من الميسور التحقق من شخصيته .

وقال مستر بوك : أنه قدم لنا معلومات هامة على كل حال ... رجل قصير أسمر له صوت نسائى .

قال بوارو : مما يؤسف له أن هذا الوصف لا ينطبق على أى شخص من المسافرين .

الفصل العاشر

أقوال الايطالى

قال بوارو وهو يبتسم ابتسامة ماكره : والآن ، سنبعث السرور والرضا الى قلب مستر بوك ونستدعى الايطالى .

ودخل انطونيو فوسكاريللى عربة الطعام بخطوات رشيقة يقظة وعلى وجهه أمارات الارتياح . وكان يتلكم الفرنسية بطلاقة تشوبها لكنه خفيفة .

- اسمك انطونيو فوسكاريللى ؟
- نعم يا سيدى .
- أرى أنك اتخذت الجنسية الأمريكية .
- نعم يا سيدى ، تيسيراً لأعمالى .
- أنت وكيل شركة فورد للسيارات ؟
- نعم ، ولهذا السبب ...

وأعقب ذلك بيان تفصيلى عرف منه الرجال الثلاثة العمل المنوط به وسبب رحلاته ومركزه المالى ورأيه فى الولايات المتحدة ومختلف البلدان الأوربية . ولم تكن هناك حاجة لانتزاع

المعلومات منه فقد تدفقت الكلمات من بين شفتيه كما يتدفق الماء من النبع .

كان وجهه متألقاً وراح يجفف جبينه بمنديله واستطرد يقول : وكما ترون فإننى أعقد صفقات كبيرة وأنا رجل عصرى أفهم وسائل البيع .

– أذن فأنت تنتقل بين أمريكا وأوروبا منذ عشر سنوات .

– نعم يا سيدى وأننى أذكر اليوم الذى أخذت فيه الباخرة لأول مرة ... لكى أذهب الى أمريكا ... كان ذلك منذ وقت بعيد .. أمى ... وأختى الصغيرة ....

قطع بوارو عليه ذكرياته العائلية قائلاً :

وأثناء اقامتك فى أمريكا ، هل التقيت بالرجل الذى قتل هذه الليلة ؟

– أبداً ... أننى أعرف هذا النوع من الناس ... يبدو محترما دائم الأناقة ولكن كل هذا أنما هو مظهر لاغير ... طبقا لتجربتى الشخصية أرى أن ذلك الرجل نذل ... هذا رأيى على كل حال .

قال بوارو فى حدة :

– وهو رأى سليم ... ان راتشيت إنما هو كاسيتى ، مختطف

الأطفال .

- كنت على حق اذن . اننى أصبحت قديراً فى قراءة أخلاق الناس من ملامحهم ... هذه ميزة لابد منها للنجاح فى التجارة .

- هل تتذكر قضية أرمسترونج ؟

- آه ... لا أذكرها تماما ... كانت تدور حول طفلة صغيرة ، أليس كذلك ؟

- نعم . كانت جريمة بشعة .

ولكن كان الايطالى أول شخص لايرى هذا الرأى قال :

الواقع أن هذه الأمور تقع كثيراً فى البلاد الكبيرة المتمدنة كأمريكا ...

قاطعة بوارو قائلا :

ألم يسبق أن ألتقيت بأحد أفراد أسرة أرمسترونج ؟

- كلا . لا أظن ذلك . ولكننى أرى عملاء كثيرين ، ويكفى أن أذكر لك رقم أعمالى . اننى بعث فى السنة الماضية فقط ...

- لا تبتعد عن الموضوع أرجوك .

أرتفعت يد الايطالى فى حركة اعتذار وقال :

- آسف جداً يا سيدى .

– قل لى ماذا فعلت أمس بعد العشاء ؟

– كما تشاء . قضيت هنا أكبر وقت ممكن أتحدث مع الأمريكى ، وكيل شركة شرائط الآلات الكاتبة ، ثم مضيت بعد ذلك الى مقصورتى ، وكانت شاغرة لأن الانجليزى الحقير الذى يشاركنى المقصورة كان قد ذهب الى سيده . ولكن لم يلبث أن عاد بوجهه الجامد . لم أكن أستطيع أن أحظى منه بغير كلمتى لا أو نعم . شد ما أمقت هؤلاء الانجليز ... أنه جلس فى مكانه لا يتحرك ولا يريم وراح يقرأ ، وكان لا يزال يقرأ عندما أقبل مراقب القطار لكى يعد فراشينا . وكان يشكو من أسنانه لأنه أخذ مهدئاً له رائحة نفاذة ... واستلقى فوق فراشة وراح يئن . وبعد قليل من ذلك غلبنى النوم ، ولكننى كنت كلما صحوت سمعته يئن .

– هل تعرف اذا كان قد خرج من المقصورة خلال الليل .

– لا أظن أنه خرج .

– هل حدثك عن سيدة ؟ ... هل أبدى نحوك أى عداء ؟

– سبق أن قلت لك أنه لم يكن يكثر من الكلام .

– قلت لى أنك تدخن .. فهل تدخن الغليون أم السجاير ؟

- السجاير فقط .

وقدم له بوارو سيجارة فأخذها ، وسأله مستر بوك :

- هل سبق أن كنت فى شيكاغو ؟

- نعم . وهى مدينة جميلة ... ولكننى أعرف نيوريوك ، وواشنطن ودترويت أكثر . وأنت ؟

هل ذهبت الى أمريكا ؟ ... أنصحك أن تذهب لزيارتها فهى ...

قدم له بوارو ورقة قائلاً :

- تفضل بكتابة أسمك وعنوانك فى أسفل هذه الورقة .

كتب الايطالى المطلوب منه بحروف كبيرة ثم نهض وهو لا يزال يبتسم وقال :

- أهذا كل شئ ؟ ... الم تعد بحاجة الى ؟ الى اللقاء أيها السادة ... أنهم فى انتظارى فى ميلانو ... وأخشى أن تضيع منى هذه الصفقة .

وأختفى . ونظر بوارو الى مستر بوك . وقال هذا الأخير :

- أن هذا الرجل قضى مدة كبيرة فى أمريكا ، والايطاليون كذابون ويستخدمون المدى بسهولة . أننى أمتتهم .

قال بوارو وهو يبتسم :

- هذا شئ واضح ، ولكن اسمح لى أن أقول لك أننا لا نملك أى دليل ضده .

- ماذا تفعل بنفسية الأجناس البشرية أذن ؟ الا يطعن الايطالى غريمه بالمدية ؟

- طبعاً . ولكنه يفعل ذلك اذا ما نشبت بينهما معركة عنيفة خرج فيها عن طوره فى حين أن هذه الجريمة ، كما يبدو لى ، أعدت منذ وقت طويل وبعناية تامة . وهذه الجريمة ليست من الجرائم التى يرتكبها الايطاليون ... اننى اكتشفت فيها قرائن تدل على ترصد هادئ لا يصدر الا عن رجل انجليزى .

وتناول جوازات السفر الباقية وقال :

ولنستجوب مس دبنهام الآن

الفصل الحادى عشر

أقوال مس دبنهام

دخلت مارى دبنهام فى خطى ثابتة ورشيقة . وكانت ترتدى تاييراً أسود تحته بلوزة من الحرير الرمادى وشعرها الأسود يتموج بصورة فاتنة . وقال بوارو يخاطبها عندما جلست أمامه :

– أسمك مس مارى هرميون دبنهام وعمرك ستة وعشرون سنة ، أليس كذلك ؟

– نعم .

– انجليزية ؟

– نعم .

– هل تتفضلين بكتابة اسمك وعنوانك فى انجلترا فى هذه الورقة ؟

وكتبت اسمها وعنوانها بخط ثابت واضح .

– والآن يا آنسة ، أرجو أن تدلى الينا بما تعرفين عن جريمة الليلة .

– لا أستطيع أن أخبرك بأى شئ فإننى أويت الى فراشى ونمت على الفور .

- ألم تسبب لك هذه الجريمة التى أرتكبت فى القطار بعض الأسى ؟

ولم تكن الفتاة تتوقع مثل هذه السؤال فنظرت اليه فى دهشة وقالت :

- اننى لا أفهم تماما ما تعنيه .

- ومع ذلك فسؤالي واضح يا آنسة . هل سببت لك هذه الجريمة شيئاً من الأسى ؟

- اننى لم أنظر الى المسألة من هذه الزاوية بعد ومهما يكن فليس لها أى تأثير بالنسبة لى .

- أليس لجريمة القتل أى تأثير عليك يا آنسة ؟

- ليس الأمر كذلك ، ولكن ليس من المستحب أن يسافر المرء فى قطار ارتكبت فيه جريمة قتل .

- الحق انك انجليزية يا آنسة ، لا تبالين بأى شئ .

ابتسمت وقالت :

- لا أجد من الضرورى أن أبكى لابداء مشاعرى . الا يموت آلاف من الناس كل يوم .

- أن الموت شئ عادى ولكن جريمة القتل شئ نادر .

- هذا صحيح .

- هل كنت تعرفين الرجل الذى قتل ؟؟

- رأيته أمس لأول مرة ، أثناء تناول طعام الغداء .

- وما هو انطباعك عنه ؟

- اننى لم التفت اليه تقريبا .

- هل تعرفين من هو راتشيت هذا يا آنسة ؟

- ان مسز هوبارد ذكرت ذلك لكل من هب ودب

- وما رأيك فى قضية أرمسترونج ؟

- أننى أجد هذه الجريمة بشعة جداً .

نظر بوارو الى الفتاة فى تفكير ثم قال :

يبدو لى أنك قادمة من بغداد يا آنسة .

- نعم .

- هل تذهبين الى لندن ؟

- نعم .

- ماذا كنت تفعلين فى بغداد .

- كنت مربية لطفلتين .

- هل تستأنفين عملك بعد الأجازة ؟

- من المحتمل أن لا أعود اليه .

- لماذا ؟

- أن بغداد بعيدة جداً . سأحاول العثور على وظيفة أخرى في لندن .

- ظننت أنك ستتزوجين .

لم تجب مس دبنهام وإنما حدقت في بوارو كما لو كانت تريد أن تقول «انت وقح» .

- ما رأيك في السيدة التي تشاركك مقصورتك ... أعني مس أوهلسون .

- أنها فتاة فاضلة ... وساذجة .

- ما لون منامتها ؟

بدأ كان مس دبنهام صعقت وقالت :

انها ترتدي منامة من الصوف البني .

- آه . أرجو أن لا ترمينني بالفضول اذا قلت لك انني لاحظت وأنا في أسطمبول أنك ترتدين منامة من اللون الخبازي الداكن ، أليس كذلك ؟

- نعم .

- ألديك منامة أخرى حمراء اللون يا آنسة ؟

- كلا . تلك المنامة ليست لى .

انحنى بوارو الى الامام وقد تألقت عيناه وقال .

- لمن هى أذن ؟

- لا أدرى .. الى أى شئ تهدف ؟

- انك بدلا من أن تردي وتقولى «كلا ، ليس لى نامة بهذا اللون قلت تلك المنامة ليست لى» ومعنى هذا أنها ملك لسيدة أخرى.

- هذه هى الحقيقة .

- لمن هى أذن ؟

- قلت لك أننى لا أدرى ... كل ما هناك أننى صحوت هذا الصباح يخامرنى شعور بأن القطار توقف منذ وقت طويل ففتحت الباب والقيت نظرة على الممر ورأيت فى آخره سيدة ترتدى منامة حمراء وكانت تولينى ظهرها .

- هل كانت طويلة القامة أو قصيرة ؟

- بل كانت هيفاء فارعة ، ولكن من العسير أن أحدد ذلك فقد كانت المنامة مطرزة بأشكال تنين .

لزم بوارو الصمت لحظة ثم قال :

- أننى لا أفهم شيئاً . ان القضية تزداد تعقيداً . ثم رفع رأسه وخاطب مس دبنهام قائلا :

- هذا كل شئ يا آنسة .

بدت عليها الدهشة ولكنها أسرعت بالنهوض ، وعندما بلغت الباب عادت على أعقابها وقالت :

أن الآنسة السويدية ... مس أوهلسون تبدو منزعجة جداً فانك قلت لها أنها آخر من رأى القتيل على قيد الحياة وهى تتصور أنك ترتاب فيها ، فهل تسمح لى بأن أطمئنها ؟

وأردفت تقول وهى تبتسم :

أن المسكينة لا يمكن أن تؤذى ذبابة .

- فى أية ساعة ذهبت لتطلب قرصا من الاسبرين من مسز هوبارد ؟

- بعد العاشرة والنصف بقليل .

- وكم من الوقت بقيت غائبة ؟؟

- نحو خمس دقائق .

- هل غادرت المقصورة بعد ذلك خلال الليل .

- كلا .

- تحول بوارو الى الطبيب وقال :-

- هل يمكن أن يكون راتشيت قتل قبل الساعة التى ذكرتها ؟

هز الطبيب رأسه بالنفى فقال بوارو :

- يمكنك أن تطمئنيها أذن يا آنسة .

- شكراً لك .

ودخل الموظفون الثلاثة وفى المقدمة بيير ميشيل ثم الشاب الأشقر بعربة أتينا والمراقب البدين بعربة بوخارست . ونظرت هلدجارد شميدت اليهم ، الواحد بعد الآخر ثم هزت رأسها وقالت :

- كلا يا سيدى . لا أرى بينهم الرجل الذى رأيته هذه الليلة .

- ومع ذلك فليس هناك أى مراقب آخر غيرهم بالقطار . فكرى جيداً . لا ريب انك مخطئة .

- اقسم لك يا سيدى أنه ليس بينهم . أن كلا منهم طويل القامة وقوى فى حين أن الرجل الذى رأيته كان قصيراً وأسمر

وفوق شفته العليا شارب قصير ، وعندما اعتذر لى لاحظت ان صوته أشبه بصوت النساء ... اننى أتذكر ذلك جيداً يا سيدى .

الفصل الثالث عشر

موجز التحقيق

قال مستر بوك :

- رجل أسمر قصير له صوت نسائى .

- وكان المراقبون الثلاثة وهيلد جارد شميدت قد غادروا عربة الأكل . وأتى مستر بوك بحركة تدل على الحيرة وقال :

- انى لا أفهم شيئاً .. لا أفهم شيئاً على الاطلاق . هذا العدو الذى تكلم عنه راتشيت كان موجوداً فى القطار اذن ، ولكن أين ذهب ؟ هل تبخر مع الدخان ؟؟ اننى أكاد أجن . قل شيئاً يا صديقى ... اذن أن المستحيل يمكن أن يكون ممكنا .

قال بوارو :

- هذه عبارة جميلة : لا يمكن للمستحيل أن يقع وعلى هذا فيمكن للمستحيل أن يصبح ممكنا على الرغم من الظواهر .

- فسر لى ما حدث هذه اللية فى القطار اذن ؟

- أنا لست ساحراً يا صديقى . انك ترانى أشد حيرة منك ، فإن هذه القضية تسير الى الأمام قدما بطريقة غريبة .

- انها لا تسير الى الأمام أبداً فاننا نتخبط .

– كيف هذا ؟ أليست لدينا أقوال المسافرين ؟

– ويكنها لا تفيدنا فى شئ .

– أننى لا أشاطرك هذا الرأى .

– ربما أبالغ ، ولعلك تقول أن الامريكى هاردمان والخادمة الألمانية قدما لنا الكثير من المعلومات . ولكنى أقول لك أنهما زادا المسألة تعقيداً على تعقيد .

– كلا ... كلا وكلا .

توسل مستر بوك اليه قائلا :

– تكلم أذن . أننا نصغى اليك .

– ألم أقل لك منذ لحظة واحدة اننى أنا نفسى أكثر منك حيرة ؟ ... ولكن يمكننا أن نعتمد على الحقائق على الأقل وأن نفحصها ونبوبها بنظام وترتيب . بادئ ذى بدء يموت المدعو راتشيت ، كاسيتي سابقا باثنتى عشرة طعنة هذه الليلة . هذه حقيقة ثابتة وسأتغاضى عن بعض النقاط التى لاحظتها أنا والدكتور قسطنطين وسأعود اليها فى الوقت المناسب والحقيقة الثانية من حيث الأهمية هى بالنسبة لى ساعة ارتكاب الجريمة .

قال مستر بوك :

- انت تعرفها ، فكل شئ يدل على أن الجريمة ارتكبت فى الساعة الواحدة والربع صباحا .

- عفوا ... لا داعى للعجلة ... أعترف بأن هناك أشياء كثيرة تؤيد قولك هذا .

- آه ! ...

واستطرد بوارو دون أن يعبأ بمقاطعته :

- أمامنا ثلاث نظريات ، الأولى هى أن الجريمة أرتكبت كما تظن ، أى فى الساعة الواحدة والربع ، ويؤيد هذا الاحتمال أقوال مسز هوبارد وهلدجارد شميدت وأخيراً شهادة الدكتور قسطنطين .

والنظرية الثانية هى أن الجريمة ارتكبت بعد ذلك وحرك القاتل عقارب الساعة عمداً .

والنظرية الثالثة هى أنها ارتكبت قبل ذلك وحركت عقارب الساعة تضليلا للتحقيق .

واذا نحن سلمنا بالنظرية الأولى فيجب علينا أن نقبل النتائج التى تتأتى عنها . اذا كانت الجريمة قد ارتكبت فى الساعة الواحدة والربع فإن القاتل لم يستطع مغادرة القطار ، وفى هذه

الحالة أين هو ؟ ... ومن هو ؟ ....

لنفحص الحقائق بعناية . كان هاردمان أول من تكلم عن الرجل القصير الأسمر ذي الصوت النسائى ، وهو يؤكد أن راتشيت حدثه عن ذلك الرجل وطلب منه حمايته . ولكن هل يجب أن نصدق ما يقول هاردمان ؟ هل هو ذلك البوليس السرى المشهور حقاً ؟

من رأيى أن المثير فى هذه المسألة هو افتقارنا الى الوسائل العادية التى يتمتع بها رجال البوليس وأعنى بها استحالة التحقيق من شخصية المسافرين ، وعلى هذا لابد لنا من استخدام ذكائنا وحسن تقديرنا فأقول لنفسى قبل كل شئ : أن هاردمان يسافر بجواز سفر مزيف وهذا ما يجعله موضع شك وريبة ، وما أن يتدخل رجال البوليس حتى يبعثون ببرقية للتأكد من صحة شخصية هاردمان .

- اذن فأنت تبرئه من كل تهمة ؟

- ابداً . قد تكون له ، مع كونه مخبراً سرياً ، أسبابه لقتل راتشيت . أنما عنيت اننا نستطيع أن نصدق ان راتشيت قد استخدمه لكى يحميه . أن الصورة التى رسمتها لنا هلدجارد

شميدت عن الرجل الذى ارتدى زى مراقب العربات تتفق مع الصورة التى ذكرها راتشيت لهاردمان . واكتشاف مسز هوبارد للزر فى مقصورتها يؤيد أقوالها ، ولا أدري اذا كنتما قد لاحظتما ذلك ولكن هناك أقوال أخرى تؤيد ذلك

- وما هى ؟

- أقوال الكولونل ارتبنوت وهكتور ماكوين . لقد أكد كل منهما أن مراقب القطار مر أمام مقصورتهما ولم يعلقا أهمية على هذه النقطة ، مع ذلك فإن بيير ميشيل قال فى أقواله أنه لم يمر فى أية لحظة من اللحظات أمام المقصورة التى يجلس فيها ارتبنوت وماكوين .

وعلى ذلك فإن قصة الرجل القصير الأسمر ذى الصوت النسائى الذى يرتدى زى مراقب القطار تعتمد بطريق مباشر أو غير مباشر على أقوال أربعة أشخاص .

قال الدكتور قسطنطين :

- معذرة ... ولكن هناك نقطة صغيرة تزعجنى . اذا صحت قصة هلدجارد شميدث فكيف تفسر أن المراقب لم ير ذلك الشخص عندما أسرع لتلبية مسز هوبارد ؟ .

- ليس هناك أسهل من ذلك ، فعندما جاء تلبية لطلب مسز هوبارد كانت الخادمة قد دخلت عند سيدتها ، وعندما عادت الى مقصورتها كان المراقب فى غرفة مسز هوبارد .

كان مستر بوك ينتظر هذه اللحظة لكى يلقى سؤالا عسيراً على بوارو فقال :

تعجبنى طريقتك فى تناول القضية نقطة نقطة ، ولكنك لم تصل الى الغاية بعد ، مادمنا قد اتفقنا جميعا على وجود هذا الرجل فإننى أود أن أعرف أين ذهب .

هز بوارو رأسه فى قوة وقال :

انك تقلب الموضوع يا صاحبى . قبل أن أسال أين ذهب هذا الرجل ألقى سؤالا آخر : هل هذا الرجل موجود حقاً ؟ ... لأنه اذا كان هذا الرجل مجرد اختلاق فمن السهل جداً أن يختفى . ومهما يكن فأننى أحاول إقامة الدليل على أن هذا الرجل موجود لحما وشحما .

- واذا ثبت لك أنه موجود فهل تحاول أن تعرف أين هو الآن ؟

- واحد من أمرين يا صاحبى : أما أن يكون فى القطار ،

فى مخبأ سرى لن نفلح فى العثور عليه ، وأما أنه متنكر فى شخصية أخرى . أعنى أن القاتل الذى كان راتشيت يخشاه مسافر ومتنكر بطريقة بارعة بحيث أن راتشيت نفسه لم يعرفه .

صاح مستر بوك وقد تألقت أساريره :

- هذه فكرة !

ولكن لم يلبث أن أكفهر وجهه وقال :

- ولكن هناك نقطة واهية فى هذا الاحتمال .

أسرع بوارو يقول :

- قامة القاتل ؟ .. هذه هى النقطة التى تتكلم عنها ، أليس كذلك ؟ فيما عدا هذا الخادم فإن جميع المسافرين طوال القامة عريضو الأكتاف : الايطالى والكولونل أرتبنوت وهكتبور ماكوين والكونت أندرينى . ولكن لا تنسى الصوت النسائى .. لعل القاتل امرأة متنكرة فى زى الرجال ، فإن المرأة الطويلة تبدو قصيرة فى مثل هذه الحالة .

- ولكن ما كانت هذه الحقيقة لتغيب عن راتشيت .

- من قال لك أنه لم يكن يعرف ذلك ؟ اذا كانت هذه المرأة قد سبق أن تنكرت فى زى الرجال لكى تصل الى هدفها فإن راتشيت

خشى أن تلجأ الى نفس الحيلة فقال لهاردمان أنه يخشى أن يقتله رجل وحرص على أن يعزز قوله هذا بأنه رجل له صوت النساء .

قال مستر بوك :

- هذ جائز ولكن ...

- اصغ الى يا صديقى . سأكشف لك الآن بعض الملاحظات الغريبة التى اكتشفها الدكتور قسطنطين .

وأخبره بالاستنتاجات التى توصل اليها هو والدكتور قسطنطين بخصوص طبيعة الاصابات . وبدأ الذهول على مستر بوك وصاح بوارو :

- اننى أفهمك هذه المرة . أن رأسك بدأت تدور ، أليس كذلك ؟

- ان خيالك قد شطح بك بعيداً يا عزيزى بوارو .

- طبعاً . أن نظريتى تبدو سخيفة ... بعيدة عن الواقع ، ومع ذلك فإن الحقائق تتكلم يا صديقى . تأوه مستر بوك قائلا :

قاتلان فى قطار الشرق !

وكان يبدو كما لو كان على وشك ان يبكى لفرط سخطه

وغضبه وقال بوارو فى مرح :

- والآن لنشطح قليلا فى دنيا الخيال . فى الليلة الماضية سافر شخصان غامضان فى هذا القطار ، أحدهما المراقب الذى تنطبق أوصافه على الأوصاف التى أدلى بها مستر هاردمان والذى رأته هلدجارد شميث ورآه الكولونل أرتبنوت وماكوين ، والثانى المرأة التى رآها ميشيل و مس دبنهام ومستر ماكوين كما رأيتها أنا نفسى ... واذا جاز لى القول ، والتى أحس بها الكولونل أرتبنوت . فمن هذه المرأة ؟ أنها هى الأخرى اختفت بقدرة ساحر . هل يمكن أن تكون هى والمراقب المزيف شخص واحد ؟ أين ذهب هذان الشخصان ؟ وأين يوجد زى المراقب والمنامة الحمراء فى الوقت الحالى ؟

صاح مستر بوك وهو ينهض :

- ها نحن قد وصلنا أخيراً الى شئ معقول . لنفتش أمتعة جميع المسافرين .

غادر بوارو مقعده وهو يقول :

- اننى سأتنبأ بشئ وهو أنك ستجد المنامة الحمراء فى حقيبة رجل وزى المراقب فى حقيبة هلدجارد شميدت .

- هلدجارد شميدث ؟ ... هل تعتقد ؟ ...

- كلا . ليس الأمر كما تظن . ولكن اذا كانت هلدجارد مذنبة فقد نجد الزى فى حقيبتها ، ولكن اذا كانت بريئة فسوف نجده فيها حتما .

- ولكن ...

وأمسك مستر بوك ثم أسرع يقول :

- ما هذا الصياح ؟ ... يخيل لى أن ...

ذلك أن امرأة كانت تطلق صيحات هستيرية فى الممر . وفتح باب عربة الطعام على آخره وأندفعت مسز هوبارد منه كالقنبلة وصرخت تقول :

- هذا فظيع ! ... مريع ... خنجر فى حقيبتى .. فى حقيبة الاسفنج .. خنجر كبير ... ملوث بالدماء .

وترنحت واغمى عليها فوق كتف مستر بوك .

الفصل الرابع عشر

سلاح الجريمة

حمل مستر بوك السيدة المغمى عليها الى مقعد وأسند رأسها الى المائدة ، واستدعى الدكتور قسطنطين ساقيا وقال له :

- ابق معها وبمجرد أن تعود الى رشدها أعطها قليلا من الكونياك .

ثم أسرع وراء زميليه وقد غلبه اهتمامه بتتبع احداث الجريمة ومهما يكن فقد أتضح أن طريقته كانت أفضل فقد عادت مسز هوبارد الى وعيها بعد دقائق وراحت تحتسى ، فى جرعات صغيرة ، كأسا من الكونياك ادناها الساقى من شفتيها . ولم تلبث أن استردت السيدة صوتها فقالت :

- لا أستطيع أن أصف لك ما انتابنى من خوف وفزع . لا أحد فى القطار يمكن أن يفهم حساسيتى . كنت عصبية جداً دائماً ... ورؤية الدم ... أوه ، ما أن أفكر فيه حتى يقشعر بدنى .

وأدنى الساقى كأس الكونياك من شفتيها مرة أخرى وهو

يقول :

– هل تتناولين جرعة أخرى يا سيدى ؟

– هل تنصحنى بذلك ؟ أننى لم أذق فى حياتى لا النبيذ ولا الخمر . أن جميع أفراد أسرتى لا يقربون الخمر ، ولكن الأمر يختلف الآن فانئى أشربه كدواء .

وأحتست جرعة أخرى .

وفى أثناء ذلك الوقت كان بوارو ومستر بوك يسرعان الى مقصورة مسز هوبارد يتبعهما الدكتور قسطنطين عن كثب .

كان يبدو كأن كل المسافرين قد تواعدوا أمام الباب وكان المراقب يصدهم فى هدوء وقد ارتسمت على ملامحه أمارات التعب .

وشق مستر بوك وزميلاه طريقهم ودخلوا المقصورة وقال المراقب فى ارتياح :

– أوه يسرنى انكم اتيتم يا سيدى . أن الجميع كانوا يتدافعون للدخول فقد أخذت الامريكية تصرخ بحيث خيل لى أنها بين مخالب قاتل ، فأسرعت اليها واذا بها وحدها تصرخ كالمجنونة وراحت تقول انها تريد أن تراك وابتعدت وهى تصرخ

وتصيح بأنها عثرت على خنجر .

وأتى بإشارة من يده وأردف يقول :

- وهو هذا يا سيدى . لم ألمسه .

كانت هناك حقيبة من المطاط معلقه باكرة الباب الفاصل بين المقصورتين وتحتها ، على الأرض فى نفس المكان الذى أفلتته فيه مسز هوبارد كان هناك خنجر له نصل حاد .. خنجر كبير له مقبض مرصع وعلى نصله بقع حمراء أخذه بوارو وقال :

- ليس هناك أى شك .. هذا هو سلاح الجريمة . ما رأيك يا دكتور ؟

فحص الدكتور قسطنطين الخنجر وهو يحرص على أن لا يلمسه فقال بوارو :

- لا داعى لكى هذا الحرص يا دكتور . لن نجد عليه غير بصمات مسز هوبارد .

وبعد لحظة قال الدكتور :

- هذا هو الخنجر الذى أحدث هذه الطعنات .

- لا تقل هذا يا دكتور .. أرجوك .

بدت الدهشة على الدكتور حين قال بوارو :

– ان هناك مصادفات عجيبة فى هذه القضية . لقد قرر شخصان أن يقتلا راتشيت مساء أمس وأنه لمن المدهش حقاً أن يستخدما سلاحين متشابهين .

– أن المصادفة ليست عجيبة الى هذا الحد ، فإن هذا الخنجر من نوع عادى ويباع بكميات كبيرة فى القسطنطينية .

تأمل بوارو الباب الذى أمامه بضع لحظات ثم رفع الحقيبة وأمسك بالاكره وأدراها ولكن الباب لم يتحرك . ورأى المزلاج فوق الاكرة بنحو ثلاثين سنتيمترا فسحبه وحاول أن يفتح الباب ولكنه لم يتحرك كذلك . وقال الطبيب .

– اننا أغلقنا الباب بالمزلاج من الناحية الأخرى ... الا تتذكر ؟

قال بوارو فى شرود :

– هذا صحيح .

وعبست أساريره وبدأ كأنه راح يفكر فى شئ آخر وقال مستر بوك :

– هذا يؤيد ملاحظاتك الأولى . لقد هرب الرجل من المقصورة ، وفيما هو يغلق الباب وضع يده على هذه الحقيبة

فخطر له أن يخفى فيها الخنجر الدامى وخرج من الباب الى الممر وهو لا يدرى أنه ايقظ مسز هوبارد :

– نعم . لا ريب أن الأمور قد وقعت بهذه الطريقة . ومع ذلك فقد ظلت امارات الحيرة بادية على بوارو فسأله مستر بوك :

– ما الخبر ؟ .. يبدو أنك غير مقتنع .

رماه بوارو بنظرة سريعة وقال :

الا يثير دهشتك هنا شئ ؟ ... كلا ... طبعا فهو أمر لا يثير أى انتباه .

وأطل المراقب برأسه فى هذه اللحظة وقال :

– عادت السيدة الامريكية .

وبدأ الارتباك على الدكتور قسطنطين لأنه عامل مسز هوبارد بطريقة فظة ، ومع ذلك فإنها لم توجه اليه أى لوم وتركز اهتمامها فى شئ آخر لأنها صاحت تقول :

– آه ... لن أبق فى هذه المقصورة دقيقة أخرى . لن أقضى فيها الليلة زلو عرضتم على مليونا من الدولارات . اننى لأوثر البقاء فى الممر .

وراحت تبكى وتقول :

– لو أن ابنتى رأتنى فى هذه اللحظة لا ...

قاطعها بوارو قائلاً فى لهجة حازمة :

– انك أسأت فهم نواياى يا سيدتى . أن رغبتك هذه معقولة وسنصدر تعليماتنا لكى تنقل حقائبك الى مقصورة أخرى .

خفضت مسز هوبارد منديلها وقالت :

– هذا أفضل ، ولكن العربة كاملة ... الا اذا تفضل أحد المسافرين ...

قاطعها مستر بوك فقال :

سننقلك الى عربة أخرى يا سيدتى ... الى العربة التى انضمت الى القطار فى بلغراد .

– آه . اننى أشكرك كثيراً يا سيدى ، فإننى شديدة العصبية ولا أستطيع احتمال وجود جثة فى الناحية الأخرى من الباب ...

وسرت فى بدنها رعشة شديدة ، وقال مستر بوك : ميشيل . انقل حقائب السيدة الى مقصورة شاغرة بعربة بلغراد .

– حسنا يا سيدى ... نفس رقم هذه المقصور ؟ ... رقم ٣ ؟

تدخل بوارو قبل أن يرد صديقه وقال :

– كلا . من الأفضل نقلها الى مقصورة أخرى ... ذات رقم

مزدوج ... وليكن رقم ١٢ مثلا .

- حسنا يا سيدى .

تناول المراقب الحقائب . وتحولت مسز هوبارد الى بوارو وغالت في شكرها له .

وقال بوارو :

- ولكننا لم نفعل ما يستحق كل هذا يا سيدتى . سنرافقك لكي نتأكد من سلامتك وراحتك .

ورافقها الرجال الثلاثة الى مقصورتها الجديدة ، وهناك رددت البصر حولها ثم قالت :

- هذا جميل .

- أليس كذلك يا سيدى ... ثم أن هذه المقصورة مماثلة لتلك التى غادرتها واظنك راضية الآن يا سيدتى .

- ليس تماما . فإننا محاصرون هنا بالجليد ولا يفكر أحد فى اخراجنا منه فى حين أن باخرتى ستنطلق بعد غد .

قال مستر بوك :

انما جميعا فى الهم سواء .

- لست أشك فى هذا ، ولكن القاتل لم يمر الا بمقصورتى أنا .

- أن الذى لا أستطيع أن أفهمه هو كيف استطاع ذلك الرجل دخول مقصورتك اذا كان الباب الفاصل موصداً من الداخل كما تؤكدين . هل أنت واثقة من أن المزلاج كان مرفوعا من ناحيتك .

- أوه ، نعم ، وقد حاولت السويدية أن تفتحه أمامى .

- فكرى فى الأمر جيدا ... أما كنت تستطيعين رؤية المزلاج وأنت راقدة فى فراشك ؟

- كلا بسبب حقيبة الاسفنج ... يا ألهى . لابد لى من أن أشترى حقيبة أخرى فإن هذه الحقيبة تجعلنى أقشعر .

- هل تعنين أن الآنسة السويدية وقفت أمام هذا الباب وعالجت الاكرة لكى تفتحه ثم قالت لك أنه موصد .

- هو ذلك .

- ولكن ربما لم يكن المزلاج موضوعا من هذه الناحية ، وربما كان موضوعا من الناحية الأخرى وعندما عالجت الاكره ولم ينفتح الباب حسبته مغلقا من هذه الناحية كذلك .

- لو صح ما تقول لكان الأمر مفروغا منه .

سكت بوارو لحظة استغرق فيها فى التفكير ثم رفع رأسه فجأة وقال :

- يجب أن تستريحى بعد هذه الصدمة العنيفة . سأطلب من الساقى أن يأتيك بقدح من الشاى وبعض البسكويت ... وفى انتظار ذلك هل تسمحين لنا بالقاء نظرة على حقائبك ؟

- لماذا ؟

- يجب أن نفتش حقائب جميع المسافرين ، فلا نريد أن نعرضك لصدمة أخرى تذكرى حقيبة الاسفنج كانت حقائب مسز هوبارد قليلة : صندوق من الكرتون للقبعات . وحقيبة صغيرة وشنطة سفر كبيرة مملوءة الى آخرها . ولم يستغرق تفتيش كل ذلك أكثر من دقيقتين .

الفصل الخامس عشر

امتعة المسافرين

وبعد بعض المجاملات انصرف بوارو هو وصديقاه . وقال مستر بوك :

- اننا نعود بخفى حنين . أين نذهب الآن ؟

- أن أسهل طريقة هي أن نفتش كل مقصورة بالترتيب ... ولنبدأ برقم ١٦ .. التى يشغلها مستر هاردمان .

وكان مستر هاردمان يدخن سيجاراً ، واستقبلهم مرحبا وهو يقول :

- تفضلوا أيها السادة .

وشرح له مستر بوك الغرض من زيارتهم له فقال المخبر السرى الامريكى :

- حسنا اننى أتساءل لماذا لم تقوموا بالتفتيش قبل ذلك . ها هى مفاتيحى أيها السادة ، واذا أردتم تفتيش جيوبى فلا مانع لدى .

وتم تفتيش الحقائب بصورة سريعة ، وكانت تحتوى على كمية كبيرة من زجاجات الخمر ، وغمز مستر هاردمان بعينه وقال :

- إن رجال الجمارك لا يفتشون الحقائب الا فيما ندر ... على الأقل داخل البلاد ، فإننى حتى الآن لم تصادفنى أيه متاعب .

- ولكن ماذا تفعل فى الحدود الفرنسية ؟

- قبل أن أصل الى فرنسا سأفرغ ما يتبقى منها فى زجاجات أخرى الصق عليها بطاقات تشير الى أن مابها «روائح عطرية» .

قال مستر بوك وهو يضحك :

- أرى إنك لست من أنصار التحريم .

- أكون كاذبا اذا قلت أن التحريم منعنى عن الشراب ، وأظنك تعرف أن أمريكا تزخر بحانات غير مرخص بها .

قال بوارو :

- كلا . وددت لو أن أذهب الى امريكا .

- ستجد فيها أحدث الأشياء . أن أوروبا تكاد تنام وبحاجة الى صحوة كبيرة .

- هذا صحيح . أننى معجب جداً بأمريكا فهى بلد التقدم ولكننى أعترف اننى أفضل مواطناتى عن الامريكيات فإن الفتاة البلجيكية أو الفرنسية تفوق غيرها فتنة وسحراً .

تحول هاردمان لحظة الى النافذة لكى يتأمل الثلج ولكنه رمش

بعينه وقال :

- أن هذا الثلج يبهر النظر . بدأت أضيق والحق يقال بهذا العطل وبهذه الجريمة . ما العمل لقتل الوقت ؟

وفرغ الرجال الثلاثة من تفتيشهم وانتقلوا الى المقصورة المجاورة ، وكان الكولونل أرتبنوت جالسا يدخن غليونه ويقرأ مجلة . شرح له بوارو الغرض من زيارتهم فلم يبد الرجل أى اعتراض ، ولم يكن لديه غير حقيبتين فرغوا من تفتيشهما فى ثلاث دقائق . ورأى بوارو علبة صغيرة تحتوى على بعض الأدوات التى تستعمل فى تنظيف الغليون فقال :

- هل تستعمل هذا النوع دائماً ؟

- نعم .

- وكانت من النوع الذى التقطه بوارو فى مقصورة راتشيت . وأبدى الدكتور قسطنطين نفس الملاحظة بعد أن خرجوا من المقصورة ولكن بوارو قال :

- ومع ذلك فلا أستطيع أن أصدق أنه القاتل . وكانت المقصورة المجاورة للأميرة دراجوميروف . وما أن طرقوا الباب حتى قالت فى صوت خفيض واضح :

- ادخلى .

ولم تعترض الأميرة على تفتيش حقائبها وقالت :

- ليس لدى أي مانع . لكن المفاتيح مع خادمتى وسوف تعاونكم فى ذلك .

سألها بوارو :

- هل تعهدين بمفاتيحك الى خادمتك عادة يا سيدتى ؟

- نعم يا سيدى .

- أنك تولين هذه الخادمة ثقة تامة .

- أكرر لك القول اننى لا الحق بخدمتى الا من استطيع الاعتماد عليهم .

- الواقع أن من الأفضل استخدام فتاة ساذجة شريفة ... بدلاً من وصيفة مدربة ... فتاة باريسية مثلا .

حدقت الاميرة فيه وقالت :

- ماذا تعنى يا مستر بوارو ؟

- لاشئ يا سيدتى ... لا شئ اطلاقا .

- بل تعنى شيئاً ما ... تظن أنه كان من الأوفق أن الحق بخدمتى فتاة باريسية أنيقة ؟

– كان هذا أمراً طبيعيا يا سيدى .

– أن هلدجارد مخلصة لى والإخلاص لا يشترى يا سيدى .

وجاءت الألمانية بالمفاتيح فأمرتها سيدتها بالألمانية بأن تفتح الحقائب وأن تساعد الرجال الثلاثة فى تفتيشهم ثم مضت الى الممر ووقفت تتأمل الثلج . واقترب بوارو منها فقالت له :

– حسنا يا مستر بوارو ؟ ... الا تهتم بمحتويات حقائبى .

– انه مجرد تفتيش صورى يا سيدتى .

– هل هذا صحيح ؟

نعم ... فيما يتعلق بك أنت على الأقل .

– ومع ذلك فأننى عرفت سونيا أرمسترونج معرفة وثيقة وكنت أحبها كل الحب . ولعلك تعتقد اننى ما كنت لألوث يدى بقتل هذا الوغد كاسيتى ، وأنت فى هذا على حق .

ولزمت الصمت لحظة ثم استطردت :

– هل تعرف كيف كنت أود معاملة هذا الوحش ؟

كنت أجمع خدمى وأصدر اليهم أوامرى بأن يضربوه ضرباً مبرحاً حتى يموت ثم يلقون بجثته فى المجارى . هكذا كانت الأمور تجرى فى روسيا أيام شبابى .

وكان بوارو يصغى اليها في اهتمام دون أن ينطق بكلمة . وتحولت الأميرة اليه وقالت :

- ولكنك لا تتكلم يا مستر بوارو ... فيم تفكر ؟

نظر اليها مليا وقال :

- انني أفكر يا سيدتي في أن قوتك تكمن في ارادتك أكثر مما تكمن في ذراعيك .

خفضت عينيها الى ذراعيها الطويلتين الضامرتين وقالت :

- هذا صحيح .

وعادت الى مقصورتها فجأة ، وكانت خادمتها تعيد كل شئ الى حقائبها ، وقطعت على مستر بوك اعتذاراته قائلة :

- لا داعي يا سيدي . لقد ارتكبت جريمة قتل ولابد من اتخاذ بعض التدابير .

وحيتهم . وغادروا المقصورة . وكان باب المقصورة المجاورة مغلقاً فقال مستر بوك وهو يحك رأسه :

- ياللشيطان ! ... هذا أمر مزعج . أن الكونت وزوجته يسافران بجواز سفر سياسي ومتاعهما معفى من التفتيش .

قال بوارو :

– ولكن الأمر يتعلق الآن بجريمة قتل .

– أعرف ذلك يا صديقى . ولكن لابد قبل كل شئ من تجنب التعقيدات .

– لا تقلق ... أن الكونت وزوجته لن يعترضا على التفتيش ... سوف يفهمان الموقف كما فهمته الأميرة دراجو ميروف .

وبدون أن يترك لمستر بوك أية فرصة للاحتجاج طرق باب المقصورة رقم ١٣ وأجابه صوت من الداخل يقول :

– ادخل .

كان الكونت جالسا بجوار الباب يقرأ ، فى حين اضطجعت زوجته فى مواجهته ، وبدا عليها أنها صحت من النوم لتوها ، وقال بوارو :

– معذرة يا سيدى الكونت . أننا نقوم بتفتيش أمتعة المسافرين ، وقد قال لى مستر بوك أنك تتمتع بحصانة دبلوماسية وأنك قد ترفض الخضوع الى هذا الاجراء .

فكر الكونت لحظة ثم قال :

اننى أشكرك . ولكننى لا أريد الاستفادة من هذه الميزة ويمكنك أن تفتش حقائبى كما فتشت حقائب الآخرين .

وتحول الى زوجته وقال :

أرجو أن لا يكون لديك أى مانع يا ايلينا .

قالت الكونتس على الفور : أبداً .

وقام مستر بوك بتفتيش سريع لم يسفر عن شئ ثم انصرف هو وبوارو بعد أن شكر الكونت وزوجته .

كانت هناك بعد ذلك مقصورة القتيل ثم مقصورة مسز هوبارد ، وكان الدور بعد ذلك على مقصورة الدرجة الثانية .

وكانت مارى دبنهام وجريتا أوهلسون تقيمان بالمقصورة الأولى ، وكانت جريتا نائمة وقد استيقظت مفزوعة عند دخول الرجلين . وذكر بوارو لهما الغرض من زيارتهما واستولى الانفعال على السويدية في حين احتفظت مارى دبنهام بهدوئها .

وقال بوارو يخاطب السويدية :

لنبدأ بحقائبك بعد اذنك . وبعد أن نفرغ منها أرجو أن تتكرمى بالذهاب الى مقصورة السيدة الامريكية وستجدينها فى العربة الثانية . أنها لا تزال تعانى من الاضطراب بسبب اكتشافها للخنجر وقد أرسلنا اليها قدحاً من القهوة ولكنى أظن أن بقائك معها يبعث اليها شيئاً من الراحة والأمان .

واستمعت المرأة الشابة لنداء قلبها فأسرعت لكى تلحق بالأمريكية ، ثم أن حقيبتها لم تكن مقفلة بالمفتاح ولهذا لم يكن هناك أى داع لبقائها .

ولم يسفر تفتيش حقيبتها عن شئ . وكانت مس دبنهام قد ألقت الكتاب جانبا وراحت تنظر الى بوارو . وعندما طلب منها مفاتيح حقائبها ناولته أياها وقالت :

- مستر بوارو ... لمنا أقصيت هذه المرأة ؟

- لكى تعنى بالسيدة الأمريكية المسكينة يا آنسة .

- هذه حجة جميلة ... ولكنها لا تعدو أن تكون حجة .

- أننى لا أفهم يا آنسة .

فابتسمت وقالت :

- بل تفهم تماما . أنك أردت أن ترانى على حدة ، أليس كذلك ؟

- أنك تتصورين أشياء لا وجود لها يا آنسة .

- كلا ... كلا ... أننى أعرف ما أقول . بدلاً من أن تضيع الوقت فمن الأوفق أن تطرق الموضوع مباشرة .

- آه . انك تفضلين أن أحدثك بصراحة ... حسنا . مادام

الأمر كذلك فإننى سأعمل بمشورتك ، وأرجو أن تفسرى لى معنى عبارة سمعتها أثناء الرحلة . كنت قد هبطت فى محطة قونية لكى أتمشى قليلاً وتناهى الى صوتك فى جوف الليل وكنت تقولين . «ليس الآن ... عندما نفرغ من هذه المسألة ... عندئذ ... » فما معنى هذه العبارة يا آنسة ؟

أجابت فى هدوء تام :

- هل تتصور اننا كنا نتكلم عن جريمة قتل ؟

- اننى أسألك عن معناها يا آنسة .

تنهدت وغرقت فى أفكارها لحظة ثم قالت :

معذرة يا مستر بوارو ، ولكننى لا أستطيع أن أذكر لك معنى هذه العبارة ... غير أننى أقسم لك بشرفى أننى رأيت مستر راتشيت لأول مرة فى هذا القطار .

- أنت ترفضين تفسير هذه العبارة أذن ؟

- اذا أخذت الأمر على هذا المحمل فنعم .... أننى أرفض ... أن هذه العبارة تتعلق بواجب التزمت القيام به .

وهل فرغت من اداء هذا الواجب ؟

- ماذا ؟

- نعم أم لا .

- وما الذى يحملك على هذا الاعتقاد ؟

- اسمحى لى أن أذكرك بشئ ... قبل أن نصل الى اسطمبول تأخر القطار بضع دقائق وقد فقدت جاشك عندئذ على الرغم مما تتمعين به من هدوء ورصانة .

أجابت مس دبنهام فى فروغ صبر :

يبدو أنك لا تدرك معنى أن بعض الأصدقاء ينتظرونك فى لندن وأن تأخير يوم يمكن أن يقلب كل خططك ويسبب لك مشاكل عديدة .

- حقا . هذا عجيب .

- وما وجه الغرابة ؟

- أن القطار يعانى تأخيراً الآن ... وتأخيراً كبيراً ... ثم أن هناك ظرفا خطيراً وهو استحالة الاتصال بأصدقائك عن طريق البرق ، ومع ذلك فأنت تتقبلين الأمر بهدوء تام .

اضطرم وجه مس دبنهام وعضت على شفتها ، وقال بوارو :

- انك لا تردين يا آنسة .

- لم أكن أعلم انك تنتظر رداً . ولكن الا ترى انك تبدى

اهتماماً بشئ تافه .

- قد يكون مرجع ذلك انحراف مهنى فاننا معشر المخبرين السريين نريد من الناس أن يتصرفوا تصرفاً عاديا اذا ما وجدوا أنفسهم فى ظروف دقيقة حرجة ، ولا نبالى بتغير أمزجتهم .

آثرت مارى دبنهام الصمت . واذ رأى بوارو منها ذلك غير مجرى الحديث فقال :

- هل تعرفين الكولونل ارتبنوت معرفة وثيقة يا آنسة ؟

- انني التقيت به لأول مرة فى هذه الرحلة .

- هل تعلمين اذا كانت له معرفة سابقة براتشيت ؟

هزت رأسها بالنفى وقالت :

- انني واثقة انه لم يكن يعرفه ،

- ومع ذلك فقد وجدنا فى مقصورة القتيل منظفا للغليون والكولونل هو الوحيد الذى يدخن الغليون .

ونظر اليها فى اهتمام ولكنها لم تبد أية دهشة أو انفعال وأكتفت بأن قالت :

- هذا سخيف ! أن الكولونل أرتبنوت آخر من يفكر فى ارتكاب مثل هذه الجريمة .

وكان بوارو يشاركها هذا الرأى ، وقد أوشك أن يقول لها ذلك ولكنه لم يلبث أن أغير رأيه وقال :

- اسمحى لى يا آنسة أن أقول لك أنك لاتعرفين الكولونل الا منذ فترة وجيزة .

هزت كتفيها وقالت :

هذا صحيح . ولكننى أعرف عنه ما فيه الكفاية .

سألها بوارو فى صوت رقيق :

- أمازلت ترفضين تفسير تلك العبارة يا آنسة ؟

أجابت فى برود :

- ليس لدى ما أقول .

- ليس هذا بمهم ... سوف اهتدى الى تفسيرها بنفسى .

وحياها ثم غادر المقصورة وأغلق الباب خلفه ومضى هو وبوك بعد ذلك الى مقصورة هلدجارد شميدث ، واستقبلتهما هذه الأخيرة باحترام ولكن بدون أى أنفعال . وقال بوارو وهو يشير الى حقيبتين كبيرتين :

- مفاتيحك يا آنسة .

- انهما غير مقفلتين بالمفتاح .

وفتح بوارو احدى الحقيبتين ، وما كاد يفعل حتى صاح :

- آه ! ... هل تتذكر نبؤتي يا صديقي ... ؟

انظر .

كان على رأس الحقيبة زى من أزياء مراقبى القطار ، وكان منظره يدل على أنه طوى على عجل ودس فى الحقيبة دسا . وصاحت الألمانية :

- آه . أن هذا الثوب ليس لى . ولم أضعه فى الحقيبة . انني لم أفتح هذه الحقيبة منذ أن انطلقنا من أسطمبول ، وأقسم لكم على هذا .

وراحت تنظر الى الرجلين فى جزع وأخذ بوارو ذراعها فى هدوء وطمأنها قائلاً :

- اننا نصدقك يا آنسة فلا تنزعجى . سأقول لك ماذا حدث . أن ذلك الرجل الذى رأيته واصطدم بك وهو متنكر فى زى مراقب القطار أراد أن يتخلص من الزى لأنه يعرضه للخطر .

والقى بوارو نظرة الى الدكتور قسطنطين والى مستر بوك ، وكانا يصغيان اليه فى اهتمام واردف :

- ولكن الثلج كان يتساقط واضطر الى تغيير خططه ، فأين

يخفى الزى ؟ ... ومر عندئذ بمقصورة بابها مفتوح ولم ير أحدا بداخلها فأدرك أنها مقصورة المرأة التى اصطدم بها فولجها وخلع الزى ، وكان يرتدى ثيابه تحته ، ثم طواه على عجل وأخفاه فى الحقيبة .

وبسط السترة فإذا أحد أزرارها مفقود . ودس يده فى جيبها وأخرجها وبها مفتاح يستخدم لفتح جميع الأبواب . وقال مستر بوك :

- هذا يفسر لنا كيف فتح القاتل الأبواب المغلقة . لم يكن هناك أى داع للأسئلة التى ألقيتها على مسز هوبارد ، فقد استطاع صاحبنا دخول مقصورة مستر راتشيت بواسطة هذا المفتاح بدون مشقة . ومهما يكن فإنه اذا كان من الذكاء بحيث حصل على زى من الأزياء الخاصة بمراقبى القطار فلماذا لا يحصل على مفتاح فى نفس الوقت ؟

- نعم ... لماذا ؟

- كان يجب أن نفكر فى ذلك . ألم يقل لنا ميشيل أنه عندما جاء تلبية لرنين الجرس كان الباب الفاصل بين مقصورتى مسز هوبارد ومستر راتشيت مغلقا بالمزلاج ؟

قال المراقب :

- نعم يا سيدي . لهذا السبب بالذات حسبت أن السيدة تحلم .

وقال مستر بوك :

- أن السر بدأ ينجلي . لاريب أنه كان في نية القاتل أن يغلق الباب الفاصل ولكن لاشك أنه سمع مسز هوبارد وهي تتحرك فتملكه الخوف وأسرع بالهرب .

وقال بوارو :

- لم يعد أمامنا الا أن نعثر على المنامة الحمراء .

- نعم والمقصورتان الباقيتان يشغلهما رجال .

- سنقوم بتفتيشهما على الرغم من ذلك .

ولم يبد هكتور ماكوين أي أعتراض ولكن التفتيش لم يسفر عن شئ في المقصورة الأخيرة التي يشغلها الايطالي وخادم مستر راتشيت .

ووقف الرجال الثلاثة في آخر العربة وتبادلوا النظر . وقال مستر بوك :

- والآن ؟

قال بوارو :

- لنعد الى عربة الطعام . أننا استجوبنا المسافرين وفتشنا أمتعتهم ولا يبق علينا الآن الا أن نستخدم عقولنا .

ودس يده فى جيبه واخرج علبة سجائره فلقيها فارغة فقال :

-.سألحق بكما بعد لحظة . أن هذه القضية معقدة ... من التي كانت ترتدى المنامة الحمراء ؟ واين هى ؟ هناك شئ يستعصى على . لقد عقد القاتل كل شئ عامداً ، ولكننا سنستأنف نقاشنا وندرس كل النقاط . معذرة لحظة واحدة .

ومضى الى مقصورته فى خطوات كبيرة . وأخذ الحقيبة التى يضع فيها سجائره ، والقاها على الأرض وفتحها .

ووقف لحظة جامداً لا يتحرك لفرط دهشته .

فما أن فتح الحقيبة حتى رأى المنامة الحمراء التى يبحثون عنها . وتمتم يقول :

هذا تحد سافر ... حسنا . أننى أقبل التحدى .

القسم الثالث

بوارو يجلس ويفكر

الفصل الأول

من الجاني أو من الجناة

كان مستر بوك والدكتور قسطنطين يتحدثان معا عندما لحق بهما بوارو ، وكان مستر بوك يبدو حزينا جداً .

وهتف وهو يرى بوارو :

- ها هو !

ثم أردف يقول بعد أن جلس هذا الأخير :

- اذا عرفت القاتل يا عزيزى فاني ساؤمن عندئذ بالمعجزات .

- أتزعجك هذه القضية الى هذا الحد ؟

- نعم : خاصة وأننى لا أعرف لها أولاً ولا آخرا .

قال الطبيب :

- وانا كذلك . والحق يا مستر بوارو فاننى لا أرى ماذا نستطيع أن نفعل الآن .

أشعل بوارو سيجارة وقال فى تفكير :

- أن أهمية القضية بالنسبة لى تكمن فى حرماننا من وسائل

الاستقصاء العادية وفى عدم تمكننا من التحقق من أقوال المسافرين .

ولا يسعنا فى هذه الحالة الا أن نلجأ الى ذكائنا نحن بالذات .

قال مستر بوك :

كل هذا جميل ، ولكن يجب أن نملك بعض المعلومات الحقيقية لكى تكون نقطة بداية لنا .

- ولكن لدينا أقوال المسافرين .

- أنها لم تقدم لنا شيئاً كبيراً .

- بل أفادتنا فى نقاط كثيرة وأولها أقوال الشاب ماكوين فقد أفلتت من بين شفتيه عبارة لها معناها .

- بخصوص خطابات التهديد ؟

- كلا . ولكنه قال لنا أن مستر راتشيت كان كثير السفر وكانت تضايقه عدم معرفته باللغات الأجنبية .

وقال أنه كان يقوم بمهنة المترجم أكثر منها بمهنة السكرتير .

ونظر بوارو الى زميليه ثم قال :

- ألم تفهما بعد . أن مستر راتشيت لم يكن يعرف الفرنسية ، ومع ذلك فعندما أقبل المراقب تلبية لرنين الجرس قال

له بفرنسية سليمة أنه أخطأ وأنه ليس فى حاجة اليه .

صاح الدكتور قسطنطين :

- آه ... هذا صحيح . كان يجب أن ندرك ذلك . أننى أفهم الآن نفورك من التسليم بالساعة التى ارتكبت فيها الجريمة ، ففى الساعة الواحدة الا ثلاث وعشرين دقيقة كان راتشيت قد مات .

وقال بوك :

- وقاتله هو الذى تكلم بدلاً منه .

قال بوارو :

- لا داعى للعجلة . على أننا نستطيع أن نؤكد دون خوف أنه فى الساعة الواحدة الا ثلاث وعشرين دقيقة كان هناك رجل آخر غير راتشيت فى مقصورته وأن هذا الرجل كان فرنسيا أو يتكلم الفرنسية بطلاقة .

- انك شديد الحرص يا صديقى العزيز .

- لابد من ذلك ، ومهما يكن فليس هناك ما يثبت لنا بصورة قاطعة أن راتشيت كان ميتا فى تلك الدقيقة .

- ولكنك صحوت من النوم على صوت ضجة .

- نعم ، هذا صحيح .

قال مستر بوك :

- أن هذا الاكتشاف الجديد لا يقدمنا خطوة واحدة . انك سمعت ضجة فى المقصورة المجاورة ، ولم يكن الأمر يتعلق براتشيت عندئذ وإنما بالقاتل نفسه ، وكان يغسل ديه الملوثتين بالدم ، ويعيد النظام الى المقصورة ويحرق الرسالة المورطة . وإذ عاد الهدوء إلى العربة فتح الباب الفاصل المؤدى الى مقصورة مسز هوبارد وهرب بهذه الطريقة . هذا ما نعتقده على كل حال مع الفارق بأن راتشيت قتل قبل ذلك بنصف ساعة وأن عقارب الساعة تغيرت بحيث تبدو كأنها توقفت عند الساعة الواحدة والربع لكى تكون براءة له .

قال بوارو :

وهو دليل لا قيمة له ، فإن عقارب الساعة تشير الى الساعة الواحدة و الربع ... وهى الساعة التى غادر فيها القاتل مسرح الجريمة :

قال مستر بوك فى شئ من الحيرة :

هذا صحيح . علام تدل الساعة المتوقفة على الواحدة والربع أذن ؟

- اذا كان القاتل قد تلاعب فى عقارب الساعة ... أقول اذا ... فإن الساعة التى تشير اليها تدل على شئ بالذات ... فإن الشك سيرقى عندئذ الى غير مسرح الجريمة فى الساعة الواحدة والربع

قال الطبيب :

- هذا استدلال حاسم .

- ويحسن بنا كذلك أن نتأكد من الساعة التى دخل فيها القاتل مقصورة راتشيت . ففى أية لحظة وجد الفرصة لذلك ؟ مالم نتهم مراقب القطار الحقيقى بالاشتراك فى هذه الجريمة فإن المراقب المزيف لم يستطع دخول المقصورة الا أثناء توقف القطار فى فنكوكى . فبعد رحيل القطار من هذه المحطة جلس المراقب فى مكانه المعتاد وظل يراقب الممر ، ومن المفهوم ان المسافرين لا يلتفتون الى موظفى السكة الحديدية ، ولكن لو أن المراقب الحقيقى رأى المراقب المزيف يصعد بالقطار فى فنكوكى بمجرد أن هبط هو نفسه الى الرصيف ؟

ونرجع الآن الى أقوال المسافرين فنجد أن كلا منهم يؤيد وجود زميله فى مكان آخر غير مكان الجريمة عند وقوعها كما أنهم

اجمعوا كلهم على ما أدلى به بيير ميشيل ، مراقب القطار وهو أن ما من أحد دخل مقصورة مستر راتشيت أو خرج منها فيما بين منتصف الليل والساعة الواحدة ، وهى الساعة التى ذهبت فيها الى العربة الأخرى ، كما أن أحداً لم يدخلها أو يخرج منها فيما بين الساعة الواحدة والربع والساعة الثانية .

الفصل الثانى

عشـــرة أسـئـلة

واستطرد بوارو يقول :

- وقد دونت فى هذه الورقة بضعة أسئلة ربما يروق لكم أن تدرسوها معى .

وناول مستر بوك ورقة هذا نصها :

١- من صاحبة المنديل الذى يحمل حرف هـ ؟

٢- ممن وقع منظف الغليون ؟ ... هل وقع من الكولونيل أرتبنوت ؟

٣- من التى كانت ترتدى المنامة الحمراء ؟

٤- من الرجل أو المرأة الذى تنكر فى زى مراقب القطار ؟

٥- لماذا توقفت عقارب الساعة على الواحدة والربع ؟

٦- هل ارتكبت الجريمة فى هذه الساعة بالذات ؟

٧- هل ارتكبت قبلها ؟

٨- أو بعدها ؟

٩- هل يمكن أن تؤكد أن راتشيت قتله أكثر من شخص واحد ؟

١٠- هل هناك تفسير آخر لهذه الطعنات .

قال مستر بوك :

- حسنا . لنحاول أن نحل هذه الالغاز ، ولنبدأ بالمنديل ... علينا أن نعمل بنظام وترتيب ... أن حرف هـ يرتبط بثلاثة أشخاص ... مسز هوبارد ومس دبنهام واسمها الثانى هرميون والخادمة هلدجارد شميدث . ومن العسير أن أحدد لمن منهم المنديل ولكننى أميل الى أختيار مس دبنهام خاصة وأنها موضع شبهة لأنها رفضت أن تفسر لنا العبارة التي نشك فى معناها .

قال الدكتور قسطنطين :

- أما أنا فأميل الى الظن بأن المنديل يخص مسز هوبارد ، فهو منديل ثمين والجميع يعرفون أن الامريكيات لا يهمهن فيم ينفقن المال .

قال بوارو :

اذن فأنتما تستبعدان الخادمة ؟

- نعم ، فقد أكدت لنا أن هذا المنديل لابد يخص امرأة ثرية .

- لننتقل الآن الى السؤال الثانى ... من الذى وقع منه منظف الغليون ؟ ... أهو الكولونل ارتبنوت ؟

قال مستر بوك :

- هذه نقطة أكثر تعقيداً . ان الانجليزى لا يقتل غريمه بطعنة خنجر . انى أميل الى الأخذ برأيك فى هذه النقطة وأعتقد أن شخصاً ما ألقى المنظف فى المقصورة عمداً لالقاء الشبهة على الانجليزى . ولنواجه الآن السؤال الثالث : من التى تلبس المنامة الحمراء . ليست عندى أية فكرة عن ذلك ، وأنت يا دكتور قسطنطين ؟

- ولا أنا ؟

- أذن فقد أخفقنا فى هذه النقطة . أرجو أن يحالفنا النجاح فى السؤال الرابع . من الرجل أو المرأة الذى تنكر فى زى مراقب القطار ؟ لنستبعد أولاً طوال القامة وهم هاردمان والكولونل ارتبنوت وفوسكاريللى والكونت اندرينى وهكتور ماكوين . أما مسز هوبارد وهيلدجارد شميدث وجريتا أوهلسون فلا تملك أى منهن الرشاقة المطلوبة . ويبقى أمامنا بعد ذلك الخادم ومس دبنهام والأميرة دراجوميروف والكونتس اندرينى وكل من هؤلاء الأربعة دلل على براءته ... ومن هذا يتضح لنا أن الجريمة لم يرتكبها أحد من الموجودين فى القطار ، وهذا غير معقول .

قال الطبيب :

- أن الجانى واحد من هؤلاء الأربعة بدون أى شك مالم يكن القاتل قد أقبل من الخارج ووجد مخبأ سريا لا نعرفه ، وقد سبق أن أثبتنا استحالة ذلك .

وانتقل مستر بوك الى السؤال الخامس وقال :

- لماذا أشارت عقارب الساعة الى الساعة الواحدة والربع ؟ أرى تفسيرين أولهما أن يكون القاتل قد قدم العقارب لكي يخلق لنفسه دليل أثبات ولم يستطع مغادرة المقصورة فى الوقت المطلوب بعد ذلك لأنه سمع صوتا أو ضجة ما ... ولكن مهلا ... لقد واتتنى فكرة .

انتظر الرجلان باجلال حتى يبدى مستر بوك فكرته ، وصاح هذا الأخير أخيراً :

- آه ... أن القاتل لم يحرك عقارب الساعة وإنما الذى حركها هو الشخص الذى ندعوه بالقاتل الثانى ... أو بمعنى أصبح ذات المنامة الحمراء فأنها دخلت المقصورة بعذ ذلك وغيرت عقارب الساعة لكى تبعد عن نفسها الشبهات .

صاح الدكتور قسطنطين :

- مرحى ! ... اننى اهنئك على خيالك الواسع .

وقال بوارو :

- تعنى أنها طعنت راتشيت فى الظلام دون أن تشك انه ميت ، وتشك فى أن جيب الرجل ساعة فتأخذها وتغير عقاربها دائماً فى الظلام ثم تضرب الساعة على المنضدة بقوة لكى تحطم الزنبرك ؟

نظر مستر بوك اليه فى برود وقال :

- هل لديك نظرية أفضل ؟

- فى الوقت الحاضر كلا . ولكن يبدو لى أن كلا منكما لم يلتفت الى نقطة على جانب كبير من الأهمية بخصوص هذه الساعة ؟

قال الطبيب :

- هل تتعلق هذه النقطة بالسؤال رقم ٦ ؟ ... أعنى هل ارتكبت الجريمة فى الساعة الواحدة والربع كما تشير الساعة الى ذلك ... أن ردى على ذلك هو لا .

وقال مستر بوك :

- أما ردى أنا فهو أنها ارتكبت قبل ذلك .

وافقه الدكتور قسطنطين على رأيه وأردف يقول :

- ومع ذلك يمكننا أن نرد بالايجاب على السؤال الذى يليه . وهو ... هل ارتكبت الجريمة بعد ذلك ؟ ... وأعتقد أن مستر بوارو يميل الى هذا الرأى وأن كان لا يريد أن يتورط . لقد أقبل القاتل الأول في الساعة الواحدة والربع وأقبل الثانى بعد ذلك . ولكن ننتقل الآن الى السؤال التاسع والعاشر . هل يمكننا أن نؤكد أن هناك أكثر من قاتل ؟ ... أن طبيعة الطعنات تدل على ذلك ، وبصفتى طبيب أقول أن هناك قاتلين على الأقل لأن من الجنون أن نفترض أن قاتلا واحداً يطعن غريمه طعنات بعضها قوية وبعضها ضعيفة ثم يأتى بعد ذلك بنصف ساعة فيطعن الجثة طعنات لا موجب لها .

قال بوارو :

هذا صحيح . من رأيك أذن أن وجود قاتل ثان أمر محتمل ؟

- هل لديك نظرية أفضل ؟

تنهد بوارو وأضطجع فى مقعده الى الخلف وقال :

- هذه هى النقطة التي مازلت أفكر فيها . أننا درسنا ورتبنا كل الحقائق التى أهتدينا اليها ، وقد أقبل المسافرون هنا الواحد

بعد الآخر وردوا على أسئلتنا ونعرف الآن كل ما يجب معرفته .

ونظر الى مستر بوك ورماه بابتسامة رقيقة وقال :

- أى صديقى العزيز طالما داعبتنى على طريقتى فى الإستنتاج والاستنباط التى تقوم على الجلوس والتفكير لاستخراج الحقيقة من البئر . حسنا . سأطبق هذه الطريقة الآن وعلى كل منكما أن يفعل مثلى ... لنطبق أعيننا ونركز أفكارنا .

أن راتشيت قتله واحد من المسافرين أو أكثر من واحد فمن هو أو من هم ؟

الفصل الثالث

بعض التفسيرات

مرت ربع ساعة فى صمت تام حاول مستر بوك والدكتور قسطنطين نيها الامتثال لتعليمات بوارو والتمييز بين المعلومات الصحيحة والكاذبة . واليكم ماكان يدور فى ذهن مستر بوك :

- لابد من التفكير طبعا . أن بوارو يرتاب فى الانجليزية الشابة . أما أنا فلا أعتقد ذلك . ويبدو أن من المستحيل اتهام الايطالى وهو أمر يؤسف له وليس هناك ما يدعو الخادم الى الكذب والادعاء بأن الايطالى لم يغادر المقصورة فى أية لحظة . أننى أتساءل متى ينطلق القطار ، وهل يأتى أحد لنجدتنا . أن أهالى هذا البلد لا يكترثون وسيثير البوليس اليوغوسلافى المتاعب بسبب هذه الجريمة .

أما الدكتور قسطنطين فقد كانت أفكاره تدور فى ناحية أخرى ، فكان يقول : «أن هذا المخبر البلجيكى رجل غريب الأطوار ؟ ... أهو عبقرى أو مجنون ؟ ... هل يجد حل هذا السر الغامض ؟ مستحيل . أما أنا فقد اختلط على الأمر . لعل

الجميع يكذبون ولن يساعدنا هذا فى شئ . أننى لا أجد تفسيراً لكل هذه الطعنات . أن أى مجرم أمريكى يقتل بالمسدس ، وأمريكا بلد عجيب ... شد ما أود زيارتها ! ... يجب أن أرى ديمتريوس زاجون عند عودتى فهو قد سافر الى أمريكا وله آراء حديثه . اننى أتساءل ماذا يفعل ... لو أن زوجتى تعرف ... وقطع بوارو عليه حبل أفكاره بأن قال : – أننى فكرت . وأنتما ؟

أجابه بوك :– نعم . ولكننى لم أصل الى نتيجة للأسف .

وقال الطبيب :

– وأنا أيضاً .

هز بوارو رأسه وقال :

– كنت أتوقع هذا .

وأعتدل فى مقعده ونفخ صدره وقال :

– أننى استعرضت أقوال جميع المسافرين ، الواحد بعد الآخر ووجدت فيها تفسيراً للجريمة وأن كان لا يزال مبهما بعض الشئ ، ولابد لى من بعض التحريات للتأكد منه . ولكن أسمحا لى أن أعرض عليكما أولاً بعض الملاحظات التى لها أهميتها ، فعندما

أجتمعنا لتناول الطعام لأول مرة فى نفس هذا المكان قال مستر بوك أن بالقطار أناسا من مختلفى الأوساط ، وهى ظاهرة نادرة فى مثل هذا الوقت من السنة الذى ينطلق فيه قطار الشرق وهو شبه شاغر . ثم أن واحدا من المسافرين لم يحضر عند رحيل القطار على الرغم من أنه احتجز مكانه ... والفت نظركما كذلك الى وضع حقيبة الأسفنج الخاصة بمسز هوبارد والى أسم والدة مسز أرمسترونج ومهنة مستر هاردمان والأسم الأول للأميرة دراجو ميروف وبقعة الدسم على جواز السفير الهنغارى وأقوال ماكوين بخصوص الورقة فى مقصورة راتشيت فهو يقول أن راتشيت هو الذى أحرقها بنفسه . الا يدلكما كل هذا على شئ ؟

حدق الرجلان فى المخبر السرى وقد بدت عليهما الحيرة وأجاب مستر بوك .

- أبداً .

وراح يقلب الأوراق التى أمامه وأخرج من بينها جواز السفر الخاص بالكونت اندرينى وزوجته وفتحه وقال :

- هل تعنى هذه البقعة ؟

- نعم ، وهى بقعة مازالت رطبة ، ولاحظ موضعها

بالتدقيق .

– فى بداية أسم الكونتس . ولكننى أعترف أننى لا أفهم .

– سوف تفهم . لننتقل الآن الى المنديل الذى وجدناه فى مكان الجريمة . هناك ، كما سبق أن قلت ثلاث من المسافرات يبدأ أسم كل منهن بحرف الـ هـ . وهن مسز هوبارد ومس هرميون دبنهام وهلدجارد شميدث ، خادمة الأميرة دراجوميروف . والمنديل نفسه رقيق مطرز باليد يدل علي البذخ ويباع فى باريس بثمن باهظ لا تقدر على شرائه غير اثنتين من المسافرات وهما الأميرة دراجوميروف والكونتس اندرينى . أما الأميرة فاسمها الأول هو ناتاليا ولهذا لا يمكن أن تكون هى صاحبة المنديل فلا يبقى أمامنا الا الكونتس اندرينى ويتضح من جواز السفر الخاص بزوجها أن اسمها ايلنا ، ولكن بقعة الدسم الموجودة فوق الحرف الأول من اسمها تجعلنى أعتقد أن هناك من حاول تغيير الحرف الأول بحيث يكون الفا بدلا من هاء وبهذا يكون اسمها الأول هو هيلينا وليس أيلينا .

صاح مستر بوك :

– هيلينا ؟ ... هذه فكرة !

- لنتأمل القضية من زاوية جديدة الآن . كيف دبرت الجريمة لكى تبدو أمام البوليس ؟ لاتنسيا أن الثلج قلب كل خطط القاتل . لنتصور لحظة أن الثلج لم يتساقط وأن القطار تابع طريقه كالعادة فما الذى كان يحدث ؟ كان المفروض أن تكتشف الجريمة عند الحدود الايطالية فيدلي المسافرون بنفس أقوالهم للمسئولين ، ويقدم مستر ماكوين رسائل التهديد وتقول مسز هوبارد أن رجلا مر بمقصورتها ويكشف رجل البوليس زر زى المراقب ويجدون الزى نفسه فى أحدى دورات المياه فيعتقدون أن القاتل أقبل من الخارج وأنه هبط من القطار بعد أن ارتكب جريمته ، ويعزز هذا الظن أن بعضهم رأى مراقبا مجهولا فى القطار وبذلك لا يرقى الشك الى أى من المسافرين ويحفظ التحقيق .

ولكن توقف القطار قلب كل الخطط ، ولا ريب أن هذا هو السبب فى أن القاتل لبث مدة طويلة مع القتيل ، ولم يلبث أن فقد الأمل فى انطلاق القطار من جديد وفكر فى تغيير خطته لأنه كان من الواضح ان التحقيق سيسفر عن أن القاتل لم يغادر القطار .

– حسنا . ولكن ما دخل المنديل فى هذه القضية ؟

– سأعود اليه بطريق ملتو ، أعلم قبل كل شئ أن رسائل التهديد كان شركا منصوبا للبوليس . ولكن هل أخافت هذه الرسائل راتشيت ؟ ... لا يبدو ذلك لأنه كان يخشى شخصا معينا كان يعرف شخصيته تماماً ، هذا ذا صدقنا هاردمان . ولكن راتشيت تسلم رسالة ... رسالة مختلفة تتكلم عن ديزى أرمسترونج ، وهى التى وجدنا جزءاً منها فى مقصورته . كان الغرض من هذه الرسالة أن يعلم أن حياته فى خطر ، ولم يكن مفروضا أن يقع بين يدى البوليس . وهذه هى العقبة الثانية لنجاح خطته . كان الثلج هو العقبة الأولى أما العقبة الثانية فهى معرفة فحوى الرسالة .

وحرص القاتل على حرق هذه الرسالة معناه أن أحد المسافرين له صلة وثيقة بأسرة أرمسترونج وأن اكتشاف هذه الصلة كفيل بتوجيه الشك اليه .

ولننتقل الآن الى دليلى الاثبات من غير أن نهتم بمنظف الغليون فقد تكلمنا عنه بما فيه الكفاية ... وأول هذين الدليلين هو المنديل فهو يورط المسافرين الذين تبدأ اسماؤهم بحرف الهاء

ولا ريب أنه وقع سهوا فى مكان الجريمة .

قال الدكتور قسطنطين :

– طبعا . وأذ يرى هذا الشخص ضياع منديله يبادر فيزيف اسمه .

– انك تقفز الى النتائج يا عزيزى الدكتور . لو أنى مكانك لما تعجلت هكذا .

– هل هناك نتيجة أخرى ؟

– طبعاً . لنفترض مثلاً أنك ارتكبت جريمة قتل وأنك تحاول القاء الشبهة على أحد آخر ، وأنت تعلم أن فى القطار امرأة كانت صديقة حميمة لأسرة أرمسترونج فماذا لو تلقى بمنديل يخصها ؟ ... سوف يستجوبونها ويتكلمون عن علاقتها بأسرة أرمسترونج ، وبهذا يكون هناك دافع ودليل اتهام .

قال الطبيب :

– اذا كان الشخص المتهم برئيا فإنه لن يحاول اخفاء شخصيته فى هذه الحالة .

– حقاً ؟ هل تظن ذلك ؟ ... اننى أعرف الطبيعة البشرية يا صديقى .. أن المرأة البريئة تفقد رأسها أمام خطر الاتهام بجريمة

القتل وتقدم على أغرب الأمور . وأن بقعة الدسم على جواز السفر لا تثبت جرم الكونتس اندرينى ولكنها تدل على أنها تحرص على اخفاء شخصيتها لسبب خاص .

- وماهى الصلة التى يمكن أن تربطها بأسرة أرمسترونج ؟ .. أنها لم تذهب الى أمريكا أبداً .

- أنها تزعم ذلك وتتظاهر بأنها لا تجيد الانجليزية وتبالغ فى مظهرها الشرقى . ومع ذلك فاننى سأحاول أن أعرف ابنة من هى . أن والدة مسز أرمسترونج هى لندا آردن الممثلة ولندا آردن اسم مستعار ومن الممكن أن يكون اسمها الحقيقى هو جولدنبرج لأن الأخت الصغرى لمسز ارمسترونج اسمها هيلينا جولدنبرج وقد تزوجت فيما بعد بالكونت اندرينى ، وكان ملحقا سياسيا لبلاده فى أمريكا فى ذلك الوقت .

- ولكن الأميرة دراجوميروف قالت لنا أنها تزوجت رجلا انجليزيا .

- نعم . وقالت أنها لا تتذكر اسمه . وهذا غير معقول ، فإن الأميرة دراجوميروف كانت صديقه حميمة للندا آردن وأم بنتها الكبرى بالعماد ولا يمكن أن تنسى الزوج كما تقول . أنها تعلم أن

هيلينا مسافرة فى هذا القطار وقد رأتها فيه ، وما أن عرفتا حقيقة راتشيت حتى أدركت اننا سنشك فى هيلينا ولهذا السبب بالذات تهربت من الرد عندما سألتها عن الأخت الصغرى لمسز أرمسترونج وقالت أنها لا تتذكر وأن كل ما تعرفه هو أن هيلينا تزوجت انجليزيا وهو تصريح بعيد عن الواقع .

وفى هذه اللحظة أقبل أحد سقاة عربة الطعام وقال أن طعام العشاء قد أعد .

الفصل الرابع

بقعة الدسم

تناول بوارو عشاءه على نفس مائدة مستر بوك والدكتور قسطنطين .

واجتمع المسافرون فى عربة الطعام وراحوا يأكلون وقد التزموا الصمت الكئيب ، حتى مسز هوبارد لم تبد أى ميل للثرثرة أو الحديث . وكان الكونت اندرينى وزوجته آخر من غادر عربة الطعام . وقد تبعهما بوارو وقال يخاطب الكونتس :

- معذرة يا سيدتى ... لقد وقع منديلك منك .

وبسط لها المنديل المطرز فأخذته وفحصته ثم ردته قائلة :

- انك مخطئ يا سيدى ، فهو ليس لى .

- هل أنت واثقة ؟

- طبعا .

- ومع ذلك فهو يحمل الحرف الأول من اسمك ... حرف هـ .

أبدى الكونت حركة تدل على فراغ الصبر ولكن بوارو لم يبال به ولم يفارق بعينيه وجه الكونتس . وواجهته هذه الأخيرة بكل هدوء وقالت :

- ابدأ ... أن الحرف الأول من أسمى هو ألف

- معذرة يا سيدتى ... أن اسمك هيلينا وليس ايلينا ... هيلينا جولننبرج ، الأبنة الصغرى للندا آردن ... ، أخت مسز أرمسترونج .

ساد صمت قاتل وشحب لون الكونت وزوجته . وقال بوارو فى رفق :

- لا فائدة من الأنكار ... هذه هى الحقيقة ، اليس كذلك يا سيدتى .

صاح الكونت فى غضب :

- سيدى ... بأى حق ...

ولكن الكونتس قاطعته قائلة :

- أرجوك يارودلف . دعنى أتكلم فلا جدوى من الانكار . أنك على حق يا سيدى .. أنا هيلينا جولدنبرج ، الأخت الصغرى لسونيا أرمسترونج .

- ولكن هذا يختلف عما ذكرته لى صباح اليوم يا سيدتى ، ومع هذا فإن شهادتك وشهادة زوجك ماهى الا سلسلة من الأكاذيب .

صاح الكونت :

- سيدى !

- تمالك روعك يا رودلف . أن مستر بوارو لا يترفق فى قوله ولكنه يقول الصدق .

- يعجبنى منك اعترافك بالحق بمثل هذه الصراحة وأرجو أن تذكرى لى الأسباب التى حدث بك الى تغيير اسمك فى جواز السفر .

قالت هيلينا فى هدوء :

- انك تعرف الأسباب تماما يا مستر بوارو ، فإن الرجل الذى قتل الليلة هو قاتل ابنة اختى ... أن اختى وزوجها ماتا بسببه . أنه تسبب فى موت ثلاثة أشخاص ليس عندى أعز منهم فى الحياة ، وأنا وحدى دون بقية المسافرين لدى الدافع لقتله .

- ألم تقتليه يا سيدتى ؟

- أقسم لك أننى لم أرفع يدى على ذلك الرجل على الرغم من أننى كنت أهفو الى قتله .

وقال الكونت اندرينى :

- أيها السادة ، أننى أقسم لكم بشرفى على أن زوجتى لم

تغادر مقصورتها في الليلة الماضية . أنها تناولت منوما ونامت على الفور كما قلت لكم . وهى بريئة .

هز بوارو رأسه وقال :

– مع ذلك فانك أسرعت بتزييف الاسم على جواز السفر .

صاح الكونت :

- فكر فى مركزى يا مستر بوارو . هل كان يمكن أن أحتمل فكرة وقوف زوجتى فى قفص الاتهام بتهمة جريمة قتل ... كنت أعرف أنها بريئة ولكن الشبهة كانت سترقى اليها على الفور لقرابتها لأسرة أرمسترونج وخشيت أن يستجوبوها ويلقوا القبض عليها . وقد شاء سوء الحظ أن نسافر فى نفس القطار الذى أستقله راتشيت . ماذا كان يمكننى أن أفعل غير ذلك ؟

كان يتكلم في لهجة يشوبها الصدق والاخلاص بحيث قال بوارو فى رفق :

– أننى لا أشك فيما تقول يا سيدى . أنك سليل أسرة عريقة ونبيلة لا يسرك أن ترى زوجتك متورطة فى جريمة قتل . أننى معك في هذا ولكن كيف تفسر وجود منديلها فى مقصورة القتيل ؟

- ولكننى أؤكد لك مرة أخرى أن هذا المنديل ليس ملكى .

- على الرغم من حرف الهاء ؟

- نعم يا سيدى .

- لعل القاتل تركه هنا لالقاء الشبهة عليك ؟

- انك تريد أن تنتزع منى أعترافا بأى ثمن . كلا يا مستر بوارو ، للمرة الثالثة أقول لك أن هذا المنديل ليس ملكى .

- اذا لم يكن ملك فلاى سبب زيفت جواز السفر ؟ كان الكونت هو الذى رد هذه المرة فقال :

- سمعت انكم عثرتم على منديل فى مقصورة راتشيت وأن عليه حرف هـ . وقد تناقشت فى هذا الموضوع مع زوجتى قبل أن تستجوبنى ورأيت أنكم اذا اكتشفتم أن أسم زوجتى هو هيلينا فسوف تشتبهون فيها ولهذا خطر لى أن أغير أسمها من هيلينا لى ايلينا .

قال بوارو فى لهجة جافة :

- أن لك طبع مجرم عتيد فى الاجرام لا يردعه ضميره عن أى شئ .

- أوه ، كلا يا مستر بوارو . إنما فعل ما فعل من أجلى فقد

كنت خائفة ... خائفة جداً . كانت مجرد فكرة أحياء كل ذلك الماضي البغيض تفزعني . ثم أنني خشيت أن يلقى القبض على وأن أسجن ، الا تفهم جزعي يا مستر بوارو .

تأملها بوارو لحظة ثم قال في وقار :

- إذا كنت تريدين مني أن أصدقك يا سيدتي فلابد لك أن تساعديني .

- وكيف ذلك ؟

- أن الدافع للجريمة يكمن في الماضي ... في تلك المأساة التي حطمت عائلتك وملأت حداثتك بالحزن والأسى ، فحدثيني عن ذلك الوقت فربما اكتشف صلة بين الجريمتين .

- ماذا أقول لك ؟ ... أن كل الشهود ماتوا كلهم ... روبرت وسونيا والصغيرة ديزى ... كانت رقيقة بخصلات شعرها الجميلة ... كنا نحبها كل الحب .

- كانت هناك ضحية أخرى يا سيدتي وان كانت ضحية غير مباشرة .

- نعم ، تلك المسكينة سوزان ... ان البوليس ضايقها بأسئلته . كانوا مقتنعين بأنها أرشدت القتلة . ومهما يكن فقد

كان ذلك رغما عنها .. فيبدو أنها ثرثرت وزودتهم ببعض المعلومات عن الوقت الذى كانت تخرج ديزى فيه للنزهة ، وقد فقدت الفتاة المسكينة رأسها وتصورت أنهم يلقون عليها مسئولية موت الطفلة ... هذا فظيع ؟

- وما جنسيتها ؟

- كانت فرنسية .

- وما اسم أسرتها ؟

- هذا غريب ... أننى لا أتذكره ... كنا جميعا ندعوها سوزان .

- هل كانت تقوم بوظيفة مربية أطفال ؟

- نعم .

- ومن كانت الممرضة ؟

- فتاة تدعى ستنجلبرج ، وكانت شديدة الاخلاص لديزى .

- أرجو أن تفكرى فى الأمر جيداً يا سيدتى قبل الرد على هذا السؤال .. هل رأيت فى هذا القطار أناساً تعرفينهم ؟

حدقت فى وجهه وقالت :

- أنا ؟ ... كلا ، لم أر أحداً .

- والاميرة دراجو ميروف ؟

- الأميرة ؟ ... أننى أعرفها طبعا ، ولكننى ظننتك تعنى أناسا لهم صلة باختطاف ديزى

- نعم يا سيدتى ، هذا هو ما عنيته . فكرى جيداً . أن السنين تمر ومظاهر الناس تتغير .

أستغرقت فى أفكارها لحظة ثم قالت :

كلا ، لم أر أحداً .

- انت نفسك كنت فتاة صغيرة .. ألم تكن لك مربية خاصة تعنى بك وبدروسك ؟

- أوه ، نعم . كانت لى مربية ، وكانت سكرتيرة لسونيا فى نفس الوقت ... أمرأة ذات شعر أحمر

- وما أسمها ؟

- مس فريبورى .

- هل كانت شابة أم متقدمة فى السن ؟

- كنت أعتبرها متقدمة فى السن ولكنها لم تكن قد تجاوزت الخامسة والثلاثين .

- وهل أنت واثقة يا سيدتى انك لم تتعرفى على أحد فى هذا القطار ؟

- كل الثقة يا سيدى .

الفصل الخامس

اسم الأميرة دراجو ميروف

قال مستر بوك :

هذا عمل جميل . ما كان ليخطر لي أبداً أن أشك فى الكونت اندريني وزوجته . كنت واثقا من براءتهما ومع ذلك فهى التى ارتكبت الجريمة ، وهذا أمر محزن ... أرجو أن لا يحكموا عليها بالأعدام ... هناك ظروف مخففة . يكفى أن يسجنوها بضع سنوات .

– هل تعتقد انها مذنبة حقا ؟

– طبعاً . وهل تشك أنت فى ذلك ؟ ظننت أنك تترفق بها حتى لا يستبد بها القلق ريثما ينحسر الثلج ويتولى البوليس الرسمى الأمر .

وفتح الباب فى هذه اللحظة ودخلت الأميرة دراجو ميروف ، ومضت الى بوارو رأسا قائلة دون أن تبدى أى اهتمام بالرجلين الآخرين .

– سيدى ، أظن أن معك منديلا لي .

– أهذا هو يا سيدتى ؟

– نعم . هو نفسه . وهذا هو الحرف الأول من اسمى .

صاح مستر بوك :

– ولكنه حرف هـ يا سيدتي واذا لم أخطئ فإن اسمك ناتاليا .

نظرت اليه في برود وقالت .

هذا صحيح يا سيدى . ولكن حرف النون يكتب بالروسية هـ .

– ولكنك لم تذكرى لنا صباح اليوم أن هذا المنديل ملك لك .

– وهل سألتنى يا سيدى ؟

تدخل بوارو عندئذ فقال :

– تفضلى بالجلوس يا سيدتي .

تنهدت وقالت :

– مادمت تصر على ذلك .

وما أن جلست حتى بدأت الهجوم قائلة :

– لاداعى للف والدوران . أنك تريد أن تعرف سبب وجود منديلى فى مقصورة القتيل وأرد عليك فأقول أننى لا أدرى كيف حدث هذا .

– حقاً ؟

– معذرة يا سيدتي . ولكن الى أى حد يمكن أن نصدقك .

كان بوارو يتكلم فى بطء فنظرت الأميرة اليه فى ازدراء وقالت :

- الاته سهى على أن أقول لكم أن هيلينا اندرينى هى أخت مسز أرمسترونج ؟

- الواقع انك قصدت خداعنا .

- طبعا . وأننى لأفعل ذلك ثانية اذا اقتضى الأمر فإن أمها كانت صديقتى واننى أؤمن بالوفاء الذى يجب أن ندين به نحو أصدقائنا وأسرتها .

- ألا ترين أن من واجبك مساعدة العدالة ؟

- فى هذه القضية بالذات ؟ ... أعتبر أن العدالة الحقة على الأقل قد تمت .

- انك تضعيننى فى مركز حرج يا سيدتى ، هل يجب أن أصدق ما تقولين بخصوص هذا المنديل أم أنك تحاولين الدفاع عن ابنة صديقتك ؟

- أوه ، أننى أفهم ما يدور برأسك . ولكن يمكنك أن تتحقق ما أقول . سأعطيك عنوان المحل الذى اشترى منه مناديلى فى باريس ، واذا عرضت عليه هذا المنديل فسيؤكد لك أننى أشتريته منذ سنة .

ونهضت واقفة وهى تقول :

- هل تريد القاء اسئلة أخرى ؟

- هل عرفت خادمتك هذا المنديل عندما عرضته عليها صباح اليوم ؟

- طبعاً . ولكنها لم تقل شيئاً . وهذا يثبت اخلاصها لى .

وأنصرفت . وقال بوارو : هذا هو التفسير . انني لحظت تردداً يسيراً عند الخادمة عندما سألتها اذا كانت تعرف صاحبة هذا المنديل . لم تدر هل ترد بالايجاب أو بالنفى .

وصاح بوك :

- يالها من امـرأة مزعجة ! ... وكاذبة ... أنها تكذب علينا .

قال بوارو :

- ليست وحدها التى كذبت علينا يا صديقى ... لقد كذب الجميع .

- هل تعتقد ذلك ؟

- هذا ما سوف نتحقق منه ... سنرى اذا كان الكولونل أرتبنوت كذب علينا أولاً .

الفصل السادس

الكولونل ارتبنوت

قال الكولونل أربتنوت وقد ساءه أن يستدعى للمرة الثانية :

- حسنا ؟

أجابه بوارو :

- معذرة لازعاجنا اياك مرة أخرى . ولكن هناك بعض نقاط تحتاج الى تفسير ... وأولها هذه السلاكة ... أنها سلاكة لتنظيف الغليون ، فهل هي لك ؟

- لا أدرى ... أننى لا أسجل اسمى على السلاكات التى استخدمها .

- ولكنك الوحيد فى هذا القطار الذى يدخن الغليون .

- اذا كان الأمر كذلك فلابد أنها خاصة بى .

- هل تعرف أين عثرنا عليها ؟

- لا أدرى .

- بجوار فرش القتيل ، فهل يمكن أن تبرر لنا وجودها فى ذلك المكان ؟

رفع الكولونل حاجبيه وقال :

اذا كنت تعنى اننى أنا الذى تركتها تقع منى فى مقصورة راتشيت فأنى أرى من الأوفق أن أقول لك انك مخطئ .

- ألم تذهب الى تلك المقصورة فى أى وقت من الأوقات ؟

- اننى لم أخاطب ذلك الرجل ابداً .

- الم تحدثه ابدا ولم تقتله ؟

- لو اننى قتلته فاننى لن أعترف لك بذلك ... ولكننى لم أقتله .

- أوه ... مهما يكن فلا أهمية لكل هذا .

نظر أرتبنوت الى بوارو فى ارتباك فى حين استطرد هذا الأخير يقول :

- لأن السلاكة آخر شئ اهتم به ، ويمكننى أن أذكر لك تسعة اسباب لوجودها فى المقصورة ، ولكن الواقع اننى استدعيتك لأمر آخر ... لعل مس دبنهام قالت لك أننى سمعت حديثا جرى بينك وبينها

لم ينطق الكولونل فعاد بوارو يقول :

- أنها قالت لك بالحرف الواحد : ليس الآن .. عندما نفرغ من

كل هذا ... عندئذ فماذا كانت تعنى بعبارتها هذه ؟

- اننى أرفض الاجابة على هذا السؤال يا مستر بوارو .

- لماذا ؟

- أفضل أن تسأل مس دبنهام بالذات .

- هذا ما فعلت ، ولكنها رفضت الاجابة .

- فى هذه الحالة أظن أن صمتى له ما يبرره .

- ألا تريد أفشاء سر أمرأة ؟

- فسر ذلك كما تشاء .

- قالت لى مس دبنهام أن هذا الحديث انما هو حديث شخصى .

- الا يرضيك هذ التفسير ؟

- كلا . لأن مس دبنهام موضع شبهة .

- هل تمزح ؟ ... وما هو دليلك ضدها .

- ألم تكن مربية عند أسرة أرمسترونج عندما اختطفت الطفلة ديزى ؟

ساد الصمت لحظة وهز بوارو رأسه فى رفق وقال :

- ها أنت ترى يا كولونل اننا نعرف أكثر مما تظن ، واذا كانت مس دبنهام بريئة فلماذا أخفت عنا هذه الحقيقة ؟ ... ولماذا أكدت

أنها لم تضع قدميها فى أمريكا .

هز الكولونل كتفيه وقال :

- سلها عن ذلك . من رأيى انك لا تسلك الطريق الصحيح .

نادى بوارو أحد السقاة بصوت مرتفع وقال له :

- قل للسيدة الانجليزية التى تشغل المقصورة رقم ١٣ أن تأتى هنا .

الفصل السابع

شخصية مارى دبنهام

أقبلت مارى دبنهام وهى تطوح برأسها الى الخلف فى تحد ووقعت عيناها أول ما وقعت على الكولونل أرتبنوت ولكنها سرعان ما نظرت الى بوارو وخاطبته قائلة :

- هل طلبتنى ؟

- أردت أن أعرف لماذا كذبت على صباح اليوم يا آنسة ؟

- أنا ؟ ... كذبت عليك ؟ ... لا أدرى ماذا تعنى ؟

- أخفيت عنى أنك كنت تقيمين مع أسرة أرمسترونج عندما اختطفت الطفلة وأكدت لى أنك لم تذهبى الى أمريكا أبداً .

رآها تترنح ولكنها لم تلبث أن تمالكت وقالت :

- نعم . هذا صحيح . ولكن يبدو لى أن الاسباب التى دفعتنى الى ذلك واضحة لكى ذى عينين يا سيدى .

- ولكنها ليست كذلك بالنسبة لى - يا آنسة .

قالت فى صوت هادئ فيه نبرة من القسوة :

- يجب أن أكسب قوت يومى يا سيدى ، ولعلك تعرف المشقة التى تلاقيها الفتاة لكى تحصل على وظيفة . هل يدور

بخلدك أن هناك سيدة من سيدات المجتمع ترضى أن تعهد ببناتها لمربية اقترن اسمها بجريمة قتل ؟

- ولم لا ؟ ... مادامت هذه الممرضة غير مذنبة .

- ليست المسألة مذنبة أو غير مذنبة وإنما هى مسأله عادية . أننى حتى الآن شققت طريقى فى الحياة بنجاح يا مستر بوارو وحصلت على وظائف مريحة وبأجر مرتفع وما كنت لاغامر بمستقبلى دون نتيجة تذكر بالنسبة لك .

- كان يجب أن تتركى لى تقدير الأمر يا آنسة ... كان فى مقدورك أن تساعدينى فى التعرف على المسافرين .

- بأية طريقة ؟

- ليس من المعقول يا آنسة انك لم تعرفى الكونتس اندرينى ، الأخت الصغرى لمسز أرمسترونج وتلميذتك انت بالذات فى نيويورك .

- الكونتس اندرينى ؟ ... قد تستغرب ذلك ولكننى لم أعرفها فلم تكن منذ ثلاث سنوات الا طفلة ... صحيح أن ملامحها كانت مألوفة لدى ولكننى لم أستطع أن أحدد لها أسما . أنها تبدو الآن شرقية بحيث ماكان يخطر لى أبداً أن الكونتس

اندرينى هى تلميذتى الأمريكية الصغيرة . ثم اننى لم ألق عليها فى عربة الطعام الا نظرة خاطفة .

- وتنهدت ثم ختمت حديثها قائلة :

- ثم اننى كنت فى شغل عن كل شئ بمشاكلى الخاصة .

قال بوارو فى اقناع :

- لن تبوحى لى بسرك آذن يا آنسة .

- لا أستطيع ... كلا . هذا مستحيل .

وفجأة وبدون سابق انذار انفجرت تبكى ودفنت رأسها بين يديها . ونهض الكولونل وأسرع اليها وقال :

- اننى .. اسمعى ...

ولكنه أمسك وتحول الى بوارو وقال فى غضب :

- سأحطم ضلوعك أيها الوحش .

لكن مارى نهضت واقفة وقالت :- هذا لاشئ .. هل تريد شيئاً آخر يا مستر بوارو ؟ ما أغبانى اذ تركت نفسى لعواطفى هكذا .

وأسرعت خارجة . وتحول ارتبنوت الى بوارو وقال :

- لا دخل لمس دبنهام فى هذه الجريمة ... لا دخل أطلاقا ...

اذا أزعجتها بعد ذلك فسوف يكون لى معك شأن آخر .

ومضى فى خطوات واسعة . ونظر مستر بوك الى بوارو فى أعجاب وقال له :

- لله درك يا عزيزى . انك تملك موهبة عجيبة فى التخمين .

وقال الدكتور قسطنطين فى حماس :

- ما أشد براعتك فى قراءة ماضى الناس !

- اننى لا أستحق أى اطراء هذه المرة ، فإن الكونتس اندرينى هى التى انارت لى الطريق .

- وكيف هذا ؟

- لا تنسى اننى سألتها عن مربيتها ، والواقع اننى قلت لنفسى أنه اذا كان لمارى دبنهام دور فى هذه المسألة فلابد أنها كانت تشغل وظيفة مربية فى أسرة أرمسترونج .

- ولكن الكونتس ذكرت لنا عنها أوصافا مختلفة .

- هذا صحيح . قالت أنها امرأة متقدمة فى السن ذات شعر أحمر ... ولكنى اذ سألتها فجأة عن اسم تلك المربية أخذت على غرة وذكرت أول أسم مر بذهنها فقالت أن أسمها مس فريبورى ، ولعلكما تعرفان أن هناك شركة تجارية باسم دبنهام فمريبورى ولما

كان اسم دبنهام يشغل ذهنها فقد تعلقت بأول اسم خطر لها وهو اسم فريبوري .

الفصل الثامن

من مفاجأة لمفاجأة

قال مستر بوك :

- لن يدهشنى أى شئ الآن . اذا قيل لى أن جميع المسافرين من أسرة أرمسترونج فلن اشعر بأية دهشة :

- هذه ملاحظة تدل على ذكاء كبير يا صديقى . هل تريد أن تعرف الآن ماذا سيقول صاحبك الايطالى دفاعا عن نفسه ؟

- هل تنوى أن ترينا أحد اكتشافاتك العجيبة التى لا يعرف سرها غيرك ؟

- انك أصبت فى حدسك يا صديقى .

قال الطبيب :

- أن هذه الجريمة حافلة بالتعقيدات .

- أبداً يا دكتور . كل ما فيها طبيعى لا يخرج عن المألوف .

وكان بوارو قد أرسل فى استدعاء انطونيو فوسكاريللى فأقبل فى هذه اللحظة وقال فى قلق :

- ماذا تريدون منى ؟ ... ليس عندى ما أقول .

وهوى بقبضته فوق المائدة ولكن بوارو قال له فى حزم :

- بل عندك ما تقول ... الحقيقة .

- الحقيقة ؟

ونظر الى بوارو في ارتباك وقد تبخر هدوؤه وحماسه وقال بوارو :-

- من المحتمل أننى أعرف هذه الحقيقة ولكننى أريد أن أسمعها منك ، ولكن اذا اعترفت فقد يكون ذلك في صالحك .

- اذا اعترفت ؟ ... أرى انك على علم بأساليب بوليس نيويورك .

- آه ... أذن فقد اختبرت أساليب البوليس الأمريكى ؟

- أبداً ... أبداً ... انهم لم يجدوا ضدى قرينة واحدة .

- ألا يرجع اهتمام البوليس الأمريكى بك الى ذلك الوقت الذى تعرضت فيه أسرة أرمسترونج للمحنة التى مرت بها ؟ ... أنك كنت السائق الخاص للأسرة ، أليس كذلك ؟

ما أن سمع الايطالى الضخم هذا القول حتى انهار وقال :

- مادمت تعرف كل شئ فلماذا تسأل ؟

- لماذا كذبت على صباح اليوم ؟

- لأسباب خاصة . ليست لى أية ثقة بالبوليس اليوغوسلافى

فهم يكرهون الايطاليون وخشيت أن يتهمونى على الرغم من أنه لا شأن لى بجريمة الليلة . أننى لم أغادر المقصورة دقيقة واحدة وفى مقدور الانجليزى الذى يشاركنى فيها أن يؤكد لك ذلك . أنا لم أقتل هذا الوغد راتشيت ... وليس لديك أية قرينة ضدى .

سطر بوارو بضع كلمات على ورقة ثم رفع عينيه وقال :

- لا بأس . يمكنك أن تنصرف .

تردد فوسكاريللى ويدأ عليه الارتباك وقال :

- لم أقتله ..

- قلت لك أن تنصرف .

- هذه مؤامرة . تريد هلاكى بسبب هذا الوغد الذى كان يجب أن يجلس على الكرسى الكهربائى . لماذا تركوه يهرب ؟ .. لو كنت أنا مكانه لما أستطعت الافلات من العقاب .

- ولكن الأمر يتعلق بك ... أن أختطاف تلك الطفلة لم يكن يهمك فى شئ .

- ماذا تقول ؟ ... أن ديزى الصغيرة كانت بهجة البيت كله . كانت تدعونى «تونيو» وتركب السيارة وتريد أن تسوقها بيديها الصغيرتين . كنا نعبدها جميعا .

وأغرورقت عيناه بالدموع واستدار فجأة وخرج .

وصاح بوارو :

- بيترو .

وأسرع اليه أحد السقاة فقال له :- اطلب من السيدة السويدية بالمقصورة رقم ١٠ أن تأتى .

تأوه مستر بوك وقال :

- هى أيضا ؟ ... هذا كثير يا صديقى .

وعندما جاءت جريتا أوهلسون جلست فى المقعد الذى أشار بوارو اليه وراحت تبكى فقال بوارو :

- لا تخافى يا آنسة : اننا لانريد منك الا ذرة من الحقيقة الم تكونى ممرضة الطفلة ديزى أرمسترونج ؟

أجابت المرأة وهى تنتحب نعم ، هذا صحيح ... كانت ملاكا ... ملاكا هبط من السماء كان قلبها ينبض رحمة وحنانا ... وجاء هذا الوحش فقتلها ... آه . اننى لا أستطيع الاستمرار .

وازداد نحيبها ونشيجها فربت بوارو على كتفيها وقال :

- اننى افهم مشاعرك . يكفى انك أكدت لى ما كنت

أعرفه ... أننى أفهمك يا آنستى العزيزة .

ولم تستطع الفتاة أن تنطق لفرط نحيبها فنهضت ومضت الى الباب ، واصطدمت برجل كان مقبلا فى هذه اللحظة .

كان ذلك الرجل هو ماسترمان الخادم . ومضى الى بوارو رأسا وقال له :-

- أرجو أن لا أزعجك يا سيدى ، ولكننى رأيت من الأوفق أن آتى وأخبرك بالحقيقة . كنت اثناء الحرب مراسلة الكولونل أرمسترونج وقد ألحقنى بخدمته بعد ذلك : واعتذر لاخفائى هذه الحقيقة عنك ولا أظن أنك تشتبه فى أن تونيو قد أرتكبت جريمة الليلة . أن المسكين لا يمكن أن يؤذى ذبابة وأقسم لك أنه لم يبرح المقصورة فى تلك الليلة .

نظر بوارو اليه مليا ثم قال :

- أهذا كل ما لديك ؟

- نعم يا سيدى .

وساد صمت . وإذ لم ينطق بوارو بشئ غادر ماسترمان عربة الأكل فى سكون وقال الدكتور قسطنطين :

- هذا غريب ، أشد غرابة مما نقرأ فى الروايات البوليسية ...

من بين جميع المسافرين وجدنا حتى الآن تسعة أشخاص ينتمون الى أسرة أرمسترونج بطريقة ما ، فماذا سنجد بعد ذلك ؟

قال بوارو :

ردا على سؤالك ها هو ذا صاحبنا الأمريكي مستر هاردمان .

- هل يأتى للادلاء باعترافاته هو الآخر ؟

وقبل أن يتمكن بوارو من الرد كان الامريكى قد بلغ المائدة وجلس وهو يقول بصوته الأجش :

- ما الذى يدور فى هذا القطار ... لكأننا فى مستشفى مجاذيب .

حدق بوارو فيه وقال :

- هل أنت واثق يا مستر هاردمان أنك لم تكن بستانيا لدى أسرة أرمسترونج .

- لم يكن لديهم حديقة .

- أو رئيس خدم ؟

- أننى لا أملك اللياقة التى تستوعبها هذه المهنة . كلا ، لم أكن فى أى وقت من الاوقات فى بيت أرمسترونج وأظن أننى الاستثناء الوحيد فى هذا القطار .

- الك رأى خاص فى مصرع راتشيت ؟

- كلا . أعترف أننى لا أفهم شيئاً . ومن المسلم طبعاً أنه لا يمكن أن يتورطوا جميعا فى هذه الجريمة ، ولكننى لن أستطيع الاستدلال على القاتل بينهم . كيف أكتشفت السر بحق الشيطان ؟ أن هذا يثير دهشتى .

- إنما فكرت ولا أكثر .

- انك رجل ذكى حقا وأنا معجب بك كل الأعجاب .

- هذه مكرمة منك يا مستر هاردمان ، ولكننا لم نفرغ بعد من هذه القضية ، فإننا لم نعرف بعد اسم قاتل راتشيت .

- ومع ذلك فقد أظهرت كفاءة كبيرة ، ولا يزال هناك شخصان ، غيرى أنا طبعا ، لم نكتشف عنهما شيئاً حتى الآن وهما السيدة الأمريكية والخادمة . ولاشك أنك لا تشتبه فيهما .

- هذا مالم يكن لهما دور بصفتهما غسالة وطاهية بأسرة أرمسترونج .

قال هاردمان فى استسلام :

- لا يدهشنى ذلك . يخيل لى أننى أعيش بين قوم من المجانين .

قال مستر بوك :

- انك تغالى كثيراً يا عزيزى بوارو .

تحول بوارو اليه وقال :

- الا تفهم شيئاً ؟ ... الا تعرف من الذى قتل راتشيت ؟

اجابه بوك على الفور :

- وأنت ؟ ... هل تعرفه ؟

قال بوارو :

- نعم . أن الأمر بسيط . أننى أعرفه منذ بعض الوقت . أن الأمر من البساطة بحيث يظهر لكل ذى عينين وأنه ليدهشنى انك لم تعرفه . وأنت يا مستر هاردمان ؟

هز المخبرى السرى رأسه وقال :

- اذا أردت الحق فلا أستطيع أن أقول لك من هو القاتل ؟

وبعد بضع لحظات من الصمت تحول بوارو الى مستر هاردمان وقال :

- هل لك أن تتكرم فتطلب من جميع المسافرين الحضور يا مستر هاردمان ؟ أننى أواجه مخرجين لهذه الجريمة وأريد أن أعرضهما أمام لجميع .

الفصل التاسع

بوارو يعرض مخرجين

اجتمع المسافرون فى عربة الطعام وأخذوا مجالسهم حول الموائد وهم يتوجسون خوفا . وكانت السويدية لا تزال تبكى ومسز هوبارد تواسيها قائلة :

- لا تقلقى . سوف ينتهى كل شئ على ما يرام . اذا كان بيننا قاتل فهو ليس أنت . أن من الجنون اتهامك بمثل هذه الجريمة . اجلسى بجوارى واطمئنى .

ونهض بوارو . وكان المراقب يقف بالباب فسأله قائلاً :

- هل تسمح لى بالبقاء يا سيدى ؟

- طبعا يا ميشيل .

ثم بدأ حديثه فقال :

سيداتى ، سادتى ، سأتكلم بالانجليزية لأنكم تعرفونها جميعا تقريبا . أننا أجتمعنا في محاولة للبحث عن الحقيقة فيما يتعلق بمصرع صامويل ادوارد راتشيت ، كاسيتى سابقاً . سأعرض عليكم نظريتين وسأطلب من مستر بوك والدكتور قسطنطين أن يقررا أيهما الأصلح .

أنكم تعرفون كل الحقائق ، فقد وجد مستر راتشيت صباح اليوم مقتولا وقد أصابته عدة طعنات ونعرف أنه كان لا يزال على قيد الحياة في الساعة الثانية عشرة و ٣٧ دقيقة من الليلة الماضية لأنه تحدث فى هذه الساعة مع المراقب من خلال الباب . وقد وجدنا ساعة فى جيب القتيل توقفت عقاربها فى الساعة الواحدة و ١٥ دقيقة ، وحدد الدكتور قسطنطين وقت الوفاة فيما بين منتصف الليل والساعة الثانية صباحا . وفى الساعة الثانية والنصف حاصرت الثلوج القطار كما تعرفون وبهذا استحال على أى شخص مغادرة القطار بعد ذلك .

ومستر هاردمان مخبر سرى فى وكالة معروفة بنيويورك (وتحولت جميع الرؤوس الى هذا الأخير) وهو يؤكد لنا أن أحداً لم يمر من أمام مقصورته رقم ١٦ ، ولهذا فلابد لنا من التسليم بأن القاتل واحد من المسافرين بالقطار . هذه هى نظريتنا الأولى ، ولكننى سأعرض عليكم الآن نظرية أخرى فقد كان مستر راتشيت يعرف أن حياته فى خطر وذكر أوصاف عدوه لمستر هاردمان وقال له أن الاعتداء اذا كان ولابد أن يقع فسوف يقع فى الليلة الثانية للرحلة .

وأقول لكم الآن أن مستر راتشيت كان يعرف عن عدوه أكثر مما ذكره ، وقد ركب هذا العدو القطار أما فى بلغراد أو فنكوفكي ، من الباب الذى تركه الكولونل أرتبنوت ومستر ماكوين مفتوحا فترة من الوقت بعد هبوطهما الى الرصيف . وكان هذا العدو يرتدى زى المراقب ومعه مفتاح يستطيع أن يفتح به جميع الأبواب بالقطار ، وقد دخل مقصورة راتشيت بينما كان هذا الأخير غارقا فى نوم عميق على أثر تناوله منوم ، وقتله بعده طعنات قوية ثم غادر المقصورة من الباب المؤدى الى مقصورة مسز هوبارد .

هزت الأمريكية رأسها وقالت :

- هذا هو ما حدث فعلا .

- ودس الرجل المدية فى حقيبة مسز هوبارد قبل أن يخرج ووقع منه أحد أزرار الزى دون أن يلحظ ذلك . وتخلص من زيه فى أحدى المقصورات الشاغرة وأخفاه فى أحدى الحقائب .

وبعد بضع لحظات يهبط من الباب المجاور لعربة الأكل ، قبل أن يعاود القطار سيره .

سأله مستر هاردمان :

- وما قولك فى الساعه ؟

- أن أمرها بسيط ، فقد نسى مستر راتشيت أن يؤخر ساعته ، وكانت تقدم ساعة ، والمعروف أن الساعة الشرقية تقدم ساعة عن الساعة الأوروبية ، وبهذا قد قتل فى الساعة الثانية عشرة والربع وليس فى الساعة الواحدة والربع .

صاح مستر بوك :

هذا التفسير بعيد عن الواقع ، فقد تحدث شخص من داخل المقصورة فى الساعة الواحدة الا ثلاث وعشرين دقيقة ... وهذا الشخص إما أن يكون مستر راتشيت نفسه أو قاتله .

- ليس هذا ضروريا ، فيجوز أن شخصا ثالثا دخل ليتحدث الى راتشيت ووجده ميتا فدق الجرس ليخبر المراقب ولكنه خشى بعد ذلك أن يتورط فرد على المراقب بنفسه .

قال مستر بوك :

- هذا جائز .

وقالت مسز هوبارد :

وهل تظن أننى نسيت أن أؤخر ساعتى أنا الأخرى ؟

- كلا يا سيدتى . ولكن مما لا ريب فيه انك سمعت صوت

الرجل وصحوت من نومك نصف صحوة ثم عدت الى النوم ثانية دون وعى . واستيقظت بعد ذلك مفزوعة ودققت الجرس لاستدعاء المراقب .

قالت مسز هوبارد :

هذا جائز أيضاً .

نظرت الأميرة دراجوميروف الى بوارو وسألته :

– وبماذا تفسر أقوال خادمتى ؟

– بأبسط الطرق يا سيدتى . لقد عرفت خادمتك المنديل الذى عرضته عليها وأدركت أنه منديلك ولكنها أرادت أبعاد الشبهة عنك ، وهى قد رأت الرجل فعلاً ولكن كان ذلك أثناء وقوف القطار فى فنكونكى بيد أنها قالت أنها رأته بعد ذلك لاقصاء الشك عنك نهائيا .

أحنت الأمير رأسها فى رقة وقالت :

– انك تتوقع كل شئ يا سيدى .

وساد الصمت ولكن لم يلبث أن قطعه الدكتور قسطنطين قائلاً :

– كلا ، كلا ... وألف مرة كلا . أن تفسيراتك هذه لا

ترضيني أبداً ، فهي تفسيرات تنقصها الأدلة . أن الجريمة لم ترتكب بهذه الطريقة ، وأنت تعرف ذلك تماما يا مستر بوارو .

رمى المخبر السري الطبيب بنظرة سريعة وقال :

– أرى أنه لابد لي من الرجوع الى النظرية الأخرى ، لكن لا تستبعد هذه النظرية بمثل هذه السرعة فقد تتقبلها فيما بعد .

ثم تحول الى مستمعيه وقال :

هناك تفسير آخر معقول لهذه الجريمة ، واليكم كيف أهتديت اليه .

بعد أن جمعت أقوالكم جلست وأطبقت عيني ليتسنى لي التفكير بطريقة أفضل . كانت هناك نقاط تستحق الاهتمام ذكرتها لزميلي . وكنت قد جلوت قبل ذلك بعض النقاط الأخرى ومن بينها بقعة من الدسم فوق جواز سفر . ولكن كانت لا تزال بعض النقاط الأخرى غامضة ، وكان مستر بوك قد أبدى غداة السفر ، ونحن على مائدة الافطار نقطة على جانب كبير من الأهمية فقد قال أن المسافرين بالقطار من جنسيات وطبقات أجتماعية مختلفة .

وقد بدت لي هذه النقطة غريبة بعض الشئ وتساءلت هل

يحدث هذا عادة ... وقلت لنفسى نعم ، ولكن فى الولايات المتحدة فقط ، ففى الأسرة الأمريكية تجد فى نفس الوقت سائقا ايطاليا وخادمة فرنسية وممرضة سويدية ومربية انجليزية وهكذا ... ودفعنى ذلك الى أن أوزع على كل من المسافرون دوراً فى أسرة أرمسترونج تماما كما يوزع المخرج أدوار السيناريو ، ووصلت بهذه الطريقة الى نتيجة .

وفحصت عندئذ أقوال كل شخص على حدة ووصلت الى نتائج غريبة ، ولنأخذ أقوال مستر ماكوين مثلا فأننى عندما ذكرت له أننا عثرنا على ورقة فى مقصورة مستر راتشيت قال على الفور «ومع ذلك ... » ولكنه لم يلبث أن أمسك ثم استطرد : ... أعنى أن مستر راتشيت أخطأ حين ترك هذه الورقة خلفه .

وأدركت على الفور أنه لم يكن ينوى أن يقول ذلك فى البداية ولنفترض الآن انه كان يريد أن يقول : «ومع ذلك فقد أحرقنا الورقة» . كان هذا اعترافا من ماكوين لأنه على علم بوجود هذه الورقة وبحرقها ... وبمعنى آخر كان معنى هذا آنه أما أن يكون القاتل أو أن يكن شريكا له .

ولننتقل الآن الى الخادم . لقد أكد أن من عادة سيده أن

يتناول منوما قبل أن ينام حقا وهو يعرف أن حياته فى خطر . أن وجود المسدس تحت وسادته كان يدل على عكس ذلك . أن راتشيت كان يريد أن يظل على حذر واذا كان قد تناول منوما فلا ريب أنه تناوله على غير علم منه ، ومن الذى يستطيع أن يعطيه هذا المنوم غير ماكوين أو خادمه .

ولنأت الآن الى شهادة هاردمان . أننى أصدق كل ما ذكره لى فيما يتعلق بشخصيته الحقيقية ، أما طريقته فى حماية مستر راتشيت فهى تبدو لى غير سليمة لأن الطريقة الوحيدة الفعالة هى قضاء الليل فى مقصورة راتشيت أو الجلوس فى مكان يستطيع منه مراقبة باب المقصورة بصفة مستمرة . والاستنتاج الوحيد الذى نخلص من أقواله هو أن ما من أحد . بخلاف المسافرين الموجودين بالقطار . استطاع أن يقتل راتشيت .

ولا ريب أنكم جميعا تعرفون الآن انى سمعت جزءاً من حديث جرى بين مس دبنهام والكولونل أرتبنوت يتضح منه أن الكولونل كان وثيق الصلة بمس دبنهام ومع ذلك فقد أكد لى الكولونل أنه لم يتعرف بمس دبنهام الا فى القطار ، وأنا أعرف عقلية الانجليز تمام المعرفة واذا افترضنا أن الكولونل وقع فى غرام مس دبنهام فجأة

فإنه ما كان ليتصرف مع ذلك بغير الطريقة المعروفة عن الانجليز واستنتجت من ذلك أن كلا منهما يعرف الآخر منذ مدة طويلة ويحاول التظاهر بعكس ذلك .

وننتقل الآن الى مسز هوبارد . أن هذه الأخيرة تزعم أنها لم تستطع وهى فى مرقدها أن ترى اذا كان الباب الفاصل مغلقاً بالمزلاج أم لا . ولو أنها كانت فى مقصورة ذات رقم زوجى لكان قولها معقولاً لأن المزلاج فى المقصورات الزوجية موجود تحت الاكرة بالذات ، أما فى المقصورات الفردية فهو موجود فوق الاكرة ومن هنا يتضح لنا أن مسز هوبارد أختلقت هذه النقطة بالذات .

ودعونى أقول لكم الآن كلمة بخصوص الساعة ، فقد إكتشفت فى جيب بيجامة القتيل وهو مكان بالحرى غريب نظرا الى وجود مكان مخصص للساعة بالذات بجوار الفرش ، ومعنى هذا أن الساعة وضعت في جيب القتيل عمداً بعد أن غير القاتل وضع العقارب ، ومن هذه أدركت أن الجريمة لم ترتكب في الساعة الواحدة والربع .

فهل ارتكبت الجريمة قبل ذلك ؟ . فى الساعة الواحدة الا ثلاث وعشرين دقيقة على وجه التحديد ؟ أن مستر بوك يميل الى هذا

الظن ويؤيد ظنه هذا بالصيحة التى أيقظتنى من نومى فى تلك الساعة . ولكن راتشيت كان واقعا تحت تأثير المنوم ولم يكن بمقدوره أن يصرخ والا لاستطاع أن يدافع عن نفسه فى نفس الوقت . ولكن لم يكن هناك أى أثر للمقاومة .

وتذكرت أن ماكوين ذكر لى مرتين أن مستر راتشيت لا يتكلم الفرنسية أبداً وأدركت عندئذ أن ما حدث فى الساعة الواحدة الا ثلاث وعشرين دقيقة لم يكن الا ملهاة لخداعى ، فقد كان فى مقدور أى شخص أن يكتشف خدعة الساعة ، فهى خدعة كثيرة الشيوع فى الروايات البوليسية . وأدركوا اننى لن أقع فى هذا الفخ ، وبما أنى أعرف أن راتشيت لا يعرف الفرنسية فسوف أدرك أن الصوت الذى سمعته فى الساعة الواحدة الا ثلاثة وعشرين دقيقة لا يمكن أن يكون صوته هو لأنه ميت . ولكننى واثق مع ذلك أن راتشيت لم يكن قد مات فى تلك الساعة وأنه كان لا يزال واقعا تحت تأثير المنوم .

ومع ذلك فقد أوشكت تلك الملهاة أن تفلح . فإننى فتحت الباب وألقيت نظرة الى الممر وسمعت فى وضوح العبارة المذكورة فى فرنسية سليمة ، وعى فرض أننى لم أكن أعرف الفرنسية فقد

كان المفروض أن يفسروا لى هذه العبارة ، وكان من المتوقع أن يأتينى ماكوين عندئذ ويقول لى معذرة يا مستر بوارو ... أن الذى تكلم لا يمكن أن يكون مستر راتشيت لأنه لا يعرف الفرنسية اطلاقا .

فمتى ارتكبت الجريمة ؟ ومن الذى ارتكبها ؟

من رأيى ، وهو رأى شخصى ، أن الجريمة أرتكبت فى نحو الساعة الثانية ، وهى أقصى وقت حدده الدكتور قسطنطين .

ولكن من الذى قتل راتشيت ؟

أمسك بوارو الحديث وتأمل مستمعيه . كانت آذانهم كلها مشدودة اليه . وساد الصمت المطبق لحظة فقطعه بوارو قائلاً :

- أثارت دهشتى الصعوبة الى لاقيتها فى القاء التهمة على أى شخص من المسافرين ، فإن كلا منهم كان يساند الآخر ، فقدم ماكوين والكولونل أرتبنوت الدليل الحاسم على براءة كل من صاحبه مع أنه بدا لى أنهما بعيدان كل البعد عن أن يعقدا الحديث فيما بينهما أثناء الرحلة . وكذلك كان الحال مع الخادم والايطالى ، ومع السويدية والانجليزية الشابة .

وفجأة سطعت الحقيقة فى ذهنى ... أنهم جميعا

مذنبون ! ... أن وجود كل هؤلاء الأشخاص المختلفى الجنسية فى نفس القطار لا يمكن أن يكون مصادفة خاصة وأنه تجمع بينهم مأساة واحدة هى مأساة أسرة أرمسترونج .. كان كل ذلك مديرا مسبقا . وتذكرت ملاحظة أبداها الكولونل أرتبنوت وهى أن هيئة المحلفين تتكون عادة من اثنى عشر محلفا ، وقد أصيب راتشيت باثنتي عشرة طعنة . وأدركت عندئذ المعنى الكامن فى أجتماع كل هؤلاء المسافرين الذين ينتمون الى جنسيات وطبقات اجتماعية مختلفة .

واذا كان راتشيت قد أفلت من العقاب الأمريكى فلم يكن هناك أى شك فى جرمه . وتصورت عندئذ هيئة من اثنى عشر محلفا تدينه وتحكم عليه بالموت وتتقدم على تنفيذ الحكم . وضح لى السر من هذه الزاوية :

كان على كل واحد من المسافرين أن يقوم بدور معين بالذات . وكان كل شئ متوقعا حتى أتفه نقطة لكى لا تقع أية مخاطرة ... اذا ارتقى الشك الى أحدهم أسرع الآخرون لتبرئة ساحته بشهاداتهم لتعقيد سير التحقيق ، ومن ناحية أخرى فإن مراقبة هاردمان المزعومة تمنع اتهام أى شخص من الخارج .

أنار لى هذا الحل كل حلقات المأساة .. طبيعة الطعنات التى سددها اثنا عشر شخصا مختلفا ، ورسائل التهديد التى كتبت لا لشئ الا لاثبات واقعة التهديد . وصحيح أن راتشيت جاءته رسائل تهديد حقيقة أعدمها ماكوين ووضع مكانها الرسائل التى عرضها علينا ، وقصة هاردمان الذى يقول أن راتشيت استخدمه لحمايته ، وهى قصة كاذبة لا أساس لها من الصحة وأوصاف الرجل القصير الأسمر ذى الصوت النسائى ، وهى أوصاف تدل على ذكاء كبير لأنها تبعد الشك عن مراقبى القطار ويمكن أن تنطبق على رجل كما يمكن أن تنطبق على امرأة .

وفكرة طعنة اثنتى عشرة طعنة فكرة غريبة ، ولكن لم يكن هناك أصلح منها فى هذه المناسبة ، فكل منهم ، سواء كان قويا أو ضعيفا كان فى مقدوره استخدام المدية والسلاح الأبيض سلاح صامت ولعلنى مخطئ ولكننى أتصور أن الأمور جرت هكذا . دخل كل منهم بدوره مقصورة راتشيت عن طريق مقصورة مسز هوبارد وطعن الرجل فى الظلام ، وبهذه الطريقة لن يعرف أى واحد منهم الطعنة التى سددها ولن يستطيع أى منهم أن يقول أى الطعنات هى القاتلة .

والرسالة الأخيرة التي وجدها راتشيت على وسادته حرقت بعناية كبيرة ولم يعد هناك ما يربطه بأسرة أرمسترونج ، وليس هناك من سبب يهدى البوليس الى اتهام أى من المسافرين ، وبهذا كان يمكن القول أن القاتل أقبل من الخارج وأن الرجل القصير الأسمر ذي الصوت النسائي رآه الكثيرون وهو يهبط من القطار في برود .

ولا أدرى بالضبط ما الذى حدث عندما اكتشف المتأمرون أن توقف القطار قد جعل الجزء الثاني من هذه الخطة متعذراً . وأظن أنهم اجتمعوا وقرروا العمل بكل ثمن . سيرقى الشك فى هذه الحالة الى واحد أو أكثر منهم ، ولكنهم كانوا قد توقعوا هذا الاحتمال وواجهوا معالجته . لم يكن أمامهم الا تعقيد الأمور على المحققين ، ولهذا الغرض بالذات تركوا دليلى اثبات فى المقصورة ... أحدهما يلقي التهمة على الكولونل أرتبنوت ، ولديه دليل أثبات قاطع على وجوده فى مكان آخر غير مكان الجريمة ساعة ارتكابها خاصة وأن علاقته بأسره أرمسترونج كان من المتعذر اثباتها ، والدليل الآخر هو المنديل الذى يلقى التهمة على الأميرة دراجوميروف ولكن هذه التهمة لن تلبث أن تنتفى عنها نظراً

لمركزها الاجتماعى وضعفها الجسمانى وشهادة خادمتها والمراقب .
وزيادة فى تعقيد الأمور تمر امرأة ترتدى منامة حمراء بالممر ، ولكى اشهد بهذه الواقعة يطرق بعضهم بابى فانهض والقى نظرة الى الخارج وأرى المنامة الحمراء تختفى فى آخر الممر ، وثلاثة شهود آخرين يحسنون اختيارهم يرونها كذلك وهم المراقب ومس دبنهام ومستر ماكوين . وأن ذلك المازح الذى خطر له أن يدس المنامة فى حقيبتى يملك موهبة خاصة فى الدعاية ، والظن أن هذه المنامة ملك للكونتس اندرينى لأنها الوحيدة التى لم نعثر لها على منامة فى متاعها .

واذ يعلم ماكوين أن الرسالة التى خيل لهم أنهم احرقوها بكل عناية أفلت جزء منها من الحريق وأننى استطعت تمييز اسم أرمسترونج فى ذلك الجزء يسرع ويخبر الآخرين بذلك . وعندئذ تلزم الكونتس الحرص ويفكر الكونت فى تلك اللحظة بالذات فى تزييف جواز السفر .

ويفكر الجميع ، ينكرون صلتهم بأسرة أرمسترونج متأكدين اننى لا أملك أية وسيلة للتحقيق السريع ويتصورون أننى لن أتتبع ذلك الأثر الا اذا أيقظ أحدهم شكوكى .

وأريد أن أوضح الآن نقطة أخرى ، وهى أنه اذا كانت نظريتى صحيحة ، وهى صحيحة طبعاً لأننى اعتقد اننى غير مخطئ فإن المراقب ضالع فى هذه المؤامرة ، ولكننا فى هذه الحالة نجد أنفسنا أمام ثلاثة عشر متهما بدلا من اثنى عشر . وهكذا ، وخلافا للقاعدة المعروفة وهى أن نبحث عن القاتل بين هذه الجماعة أجد نفسى أمام ثلاثة عشر شخصا واحد منهم فقط برئ .

واصل الآن الى هذه النتيجة وهى أن الشخص الذى لم يشترك فى الجريمة هو وحده الذى يبدو أكثر شبهة وأعنى به الكونتس اندرينى ، وعندما أقسم الكونت أن زوجته لم تغادر مقصورتها طوال الليل بدا صريحا بحيث لم أشك فى قوله هذا وأدركت عندئذ أن الكونت أخذ مكان زوجته .

ومعنى هذا أن بيير ميشيل كان شريكا ، ولكن لأى سبب اشترك ذلك الرجل الشريف الذى قضى فى خدمة الشركة سنوات طويلة فى هذه الجريمة ؟ ... بدا لى أن من المستحيل أن أجد علاقة بين هذا الفرنسى وأسرة أرمسترونج ، ولكننى تذكرت فجأة أن مربية الطفلة كانت فرنسية ... وتساءلت عندئذ اذا لم تكن تلك المربية ابنة ميشيل وعندئذ اتضح لى كل شئ .. كما اتضح

لى المكان الذى اختير لارتكاب الجريمة .

هل هناك أشخاص آخرون تبدو صلتهم بأسرة أرمسترونج موضع شك ؟ ... اتنى أدرجت أسم الكولونل أرتبنوت على أنه صديق الكولونل أرمسترونج ... ولا ريب أنهما اشتركا فى الحرب معا .

أما الخادمة هلدجارد شميدث فقد خمنت أنها طاهية الأسرة ولهذا نصبت لها كمينا وقعت فيه فقد قلت لها أننى أعرف انك طاهية ممتازة فأجابتنى هذا صحيح ، وقد اعترفت كل السيدات اللاتى اشتغلت لديهن بذلك ... وقد استغربت الأمر عندئذ لأن عملها كخادمة لا يتيح لها اظهار موهبتها كطاهية .

ثم يأتى هاردمان بعد ذلك . كانت الظواهر كلها تدل على أنه بعيد الصلة عن أسرة أرمسترونج ، ولكننى تصورته كخطيب للفتاة الفرنسية ، وقد أشرت فى حديثى معه الى سحر الاجنبيات وفتنتهن وحصلت على رد الفعل المطلوب على الفور فقد غشيت الدموع عينيه ، وكانت حجته عندئذ أن بياض الثلج قد بهره .

وتبقى مسز هوبارد التى وكل اليها القيام بأهم دور فى هذه المأساة ، فقد كانت تشغل المقصورة التى تتصل بمقصورة راتشيت

وتعرضت بذلك للشبهات والشكوك أكثر من غيرها خاصة وأنها لا تملك أى دليل على أنها لم ترتكب الجريمة ولابد لها من موهبة كبيرة لكى تقوم بدور المرأة الأمريكية الساذجة التى تعبد أولادها ...ومن يملك هذه الموهبة الكبيرة من بين أفراد أسرة أرمسترونج غير أم مسز أرمسترونج نفسها ، وأعنى بها لندا آرون الممثلة المشهورة .

وسكت بوارو ، وعندئذ قالت مسز هوبارد بصوت هادئ عادى يختلف كل الاختلاف عن الصوت الذى سمعه الجميع طوال اليوم :

- ماذا تريد ؟ يخيل لى أننى مازلت أقوم بالتمثيل على المسرح .

واستطردت تقول فى لهجة حالمة :

- هذا الخطأ السخيف بخصوص حقيبة الأسفنج يدل على أنه لابد من مراجعة الدور حتى آخر لحظة ... فأننا قمنا «ببروفة» واحدة فى القطار اثناء قدومنا به ولاريب اننى كنت اشغل عدئذ مقصورة ذات رقم زوجى ولم يخطر فيما بعد أن اتحقق من هذه النقط ، ولا يسعنى الا أن ابدى اعجابى بك يا مستر بوارو فإن

استنتاجاتك كلها صحيحة ... ولا يمكن أن تتصور مدى الفاجعة التي ألمت بنا في ذلك الوقت .. ولا تسل عن حزننا جميعا بما فينا الكولونل أرتبنوت فقد كان موجوداً بيننا عندما وقعت المأساة .

قال الكولونل أرتبنوت :

- لقد انقذ ارمسترونج حياتي أثناء الحرب .

- في ذلك اليوم ، ونحن نتلوى حزنا وغضبا قررنا عندما رأينا القاتل يفلت من العقاب أن نوقع عليه نحن أنفسنا الجزاء الذي يستحق . وكنا اثني عشر شخصا أو بوجه أصح أحد عشر لأن والد سوزان كان يقيم في فرنسا وقد أردنا أن نقترح في بادئ الأمر فيما بيننا لكي يقوم أحدنا بهذه المهمة ولكننا وافقنا في النهاية على اقتراح انطونيو السائق ، وتكفلت ماري دبنهام وهكتور ماكوين بوضع الخطة اللازمة .

وقد أخذ منا الاعداد لهذه الخطة وقتا طويلا ، فقد كان يتعين علينا أولاً العثور على القاتل ، وكان يختفي خلف اسم راتشيت ، وتكفل هاردمان بذلك . وأفلح ماسترمان وهكتور في الالتحاق بخدمته . وصمم الكولونل أرتبنوت على أن نكون أثني عشر شخص فعرضنا الأمر على والد سيمون فانضم الينا لكي

ينتقم لابنته التى أنتحرت . وقد كره الكولونل ارتبنوت أن نلجأ الى المدية ولكن لم يلبث أن أدرك أن هذه هى الطريقة الوحيدة التى تذلل كل العقبات .

وأخبرنا هكتور أن راتشيت ينوى الذهاب الى باريس عن طريق قطار الشرق . وكان بيير ميشيل يعمل على هذا القطار بالذات . وهكذا رأينا أن الحظ فى صفنا وأن الجريمة لن تنسب الى برئ من الخارج .

وقد أضطررنا أن نصارح زوج ابنتى بالأمر وقد أصر عندئذ على مرافقتنا . ودبر هكتور أمره بحيث قرر راتشيت السفر فى نفس القطار الذى يعمل فيه بيير ميشيل .

وكنا ننوى أن نستأجر عربة النوم كلها بقطار اسطمبول كاليه ولكننا وجدنا ، لسوء الحظ ، أن أحدى المقصورات محتجزة لمدير الشركة . ولم يكن هناك وجود لهاريس طبعاً فقد كان من الخطر أن يشترك غريب فى مقصورة هكتور ولكن جئت انت نفسك فى آخر لحظة .

وسكتت ريثما تسترد أنفاسها ثم استطردت :

- انك تعرف القصة كلها الآن يا مستر بوارو ، فماذا تنوى أن

تفعل ؟ ... اذا كان ولابد أن تقدم تقريراً رسمياً أفلا يمكن القاء المسئولية على أنا وحدى ؟ اننى ما كنت لاتردد عن تسديد أثنتى عشرة طعنة الى قلب هذا الوحش فإنه لم يقتل أبنتى والصغيرة ديزى والوليد الآخر الذى كان يجب أن يعيش فحسب ولكنه قتل أطفالا آخرين قبل ديزى وما كان ليحجم عن قتل غيرهم فى المستقبل . وإذا كان القضاء لم يستطع ادانته فإن المجتمع قد ادانه ، ولم نفعل أكثر من اننا نفذنا الحكم . أريد أن تلقى على أنا وحدى تبعة هذه الجريمة ، فلماذا نجر هذه القلوب الكريمة معى ؟ ... هذا المسكين ميشيل ... ومارى والكولونل أرتبنوت ... أنهما يتحابان !

وملأت الممثلة المقصورة بصوتها الغنى المتهدج المؤثر الذى طالما هز قلوب النظارة . وتبادل بوارو وصديقه النظر وقال بوارو :

- ما رأيك يا مستر بوك بصفتك مدير الشركة ؟

أجاب مستر بوك : أرى أن نظريتك الأولى هى الصحيحة يا صديقى ... بدون شك . عندما يأتى البوليس اليوغلاسلافى سنقدم له تقريراً فى هذا المعنى . الست من رأيى يا دكتور ؟

- طبعاً . وفيما يتعلق بالتحقق من الوفاة فيخيل لى أننى أبديت اقتراحين عجيبين .

قال بوارو عندئذ :

الآن وقد عرضت عليكم وجهة نظرى اتشرف ، سيداتي ، سادتى بأن أنسحب من هذه القضية .

« تمــــت »

أجاثا كريستى

ملكة كتب الجريمة بغير منازع . تتميز بالحبكة الروائية الفريدة والأسلوب البسيط. ظهرت أولى رواياتها فى عام ١٩٢٠ فنالت نجاحا فوريا. وتوالت بعد ذلك عشرات الكتب التي باعت بمختلف لغات العالم أكثر من ٥٠٠ مليون نسخة.

ولرواياتها عدة أبطال أهمهم الشرطى السرى بوارو، والسيدة العجوز والهوية چين ماربيل. وقد ولدت أجاثا (ميللر) كريستى فى مصيف توركى بمقاطعة ديفون جنوبى إنجلترا فى سبتمبر ١٨٩٠ من أب امريكي وأم إنجليزية. وكانت شديدة الشغف منذ طفولتها بالقراءة. وتزوجت وهى فى العشرين من الكولونيل كريستى. وهربت منه فى ١٩٢٦ بطريقة درامية، قيل لخيانته لها. فأستقلت سيارتها، وقلبتها، وأختفت أسابيعا فى أحد الفنادق. وأخذ البوليس [illegible] البحث عنها. وقد طلقت الكولونيل كريست[illegible] وتزوجت من عالم الآثار ماكس مالووان. و[illegible] وهوايته للآثار. وقد توفيت فى يناير ١٩٧٦ [illegible]

دار ومطابع المستقبل بالفجالة و ال[illegible]